الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشّهيد حمه لخضر– الوادي–

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

محاضرات في التفسير التحليلي

مقدمة لطلبة السنة الثانية أصول الدين

تأليف الدكتور: عبد القادر شكيمة

السنة الجامعية

1438هـ-1439هـ/2017 م-2018 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

إن حاجة الأمة إلى معرفة تفسير كلام ربها أشد من حاجتها إلى الطعام والشراب؛ لأن بالتفسير يعقل كلام الله، سواء تعلق الأمر بالعقيدة أو الأحكام أو غيرها من موضوعات القرآن، فينتج عن ذلك معرفة المسلم ربه ودينه فيعبد الله على بصيرة.

وليس من المعقول أن يقرأ المسلم القرآن ولا يفهم معناه وقد أنزله الله عز وجل ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وأمر الله عز وجل بتدبره والعمل به.

قال ابن تيمية: "ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك، وأيضا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم؟"[1]

وبعد هذه المقدمة الوجيزة التي تبين وجه الحاجة إلى التفسير أضع بين يدي طلبة السنة الثانية تخصص أصول الدين مذكرة في التفسير التحليلي، تتضمن البرنامج المقرر من الجهات الوصية والذي يحمل العناوين الآتية:

- **مقدمة، فيها وجه الحاجة إلى تفسير القرآن.**
- **تفسير سورة النبأ تفسيرا تحليليا.**
- **تفسير سورة عبس تفسيرا تحليليا.**
- **تفسير آيات متعلقة بالدعوة إلى الله " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ..." " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير...."**

وهذا البرنامج قسمته على المحاضرات الآتية:

المحاضرة الأولى: مفهوم التفسير التحليلي وخطواته وأهميته ومصادره.

قبل الخوض في دروس التفسير التحليلي المقررة وجب أن نعرف معنى التفسير التحليلي، والخطوات التي يسير عليها، وأهم مصادره، حتى يسهل على الطالب استيعاب المحاضرات وفهمها.

أولا: مفهوم التفسير التحليلي:

التفسير التحليلي مركب وصفي يحتاج قبل تعريفه إلى بيان جزأيه.

1- مفهوم التفسير:

أ- لغة:

تفسير على وزن (تفعيل) من الفسر، ويدور معناه بين البيان والكشف والإيضاح.

قال ابن فارس: "الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه. "[2]

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (332/13)

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس:(504/4).

قال ابن منظور: "الفسر: البيان. فسر الشيء يفسِره بالكسر، ويفسُره بالضم، فسرا، وفسره: أبانه، والتفسير مثله... الفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل. "[1]

يقال: وقد فَسَرْتُ الشئ أفسره بالكسر فسرا. والتفسير مثله[2]. ومنه التفسرة، وهي اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل. وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تَفسرَته[3].

وقال آخرون: هو مقلوب من سفر، ومعناه أيضا الكشف، يقال: سفرت المرأة سفورا إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر الصبح: أضاء، وسافر فلان وإنما بنوه على التفعيل لأنه للتكثير... فكأنه يتبع سورة بعد سورة وآية بعد أخرى[4].

وقال الراغب: الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما ينبئ عنه البول تفسيره، وتسمى بها قارورة الماء. وجُعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فيقل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح، وسفرت البيت إذا كنسته[5].

ب– اصطلاحا: تنوعت عبارات العلماء واختلفت في تعريف مصطلحِ التفسيرِ، منهم من توسع ومنهم من اختصر، وممن عرَّفه:

– **ابن جُزَي،** قال –رحمه الله–: "معنى التَّفسير: شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصِّه أو إشارته أوفحواه."[6]

– **أبو حيان،** قال: "التفسير: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب، وتتمات ذلك.

فقولنا: «علم»: هو جنس يشمل سائر العلوم. وقولنا: «يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن»: هذا علم القراءات. وقولنا: «ومدلولاتها»، أي: مدلولات تلك الألفاظ، وهذا علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا: «وأحكامها الإفرادية والتركيبية»: هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع. «ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب»: شمل بقوله: «التي تحمل عليها»: ما لا دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا، ويصد عن الحمل على الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر، وهو المجاز. وقولنا: «وتتمات ذلك»: هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك."[7]

بدر الدين الزركشي: عرفه في موضعين من كتابه البرهان في علوم القرآن، فقال في الموضع الأول: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه."[8]

---

(1) لسان العرب لابن منظور:مادة (فسر):(55/5).

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري: (781/2).

(3) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري: (283/12).

(4) البرهان في علوم القرآن للزركشي: (147/2).

(5) تفسير الراغب الأصفهاني: (10/1).

(6) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: (15/1).

(7) البحر المحيط لأبي حيان: (26/1).

(8) البرهان في علوم القرآن للزركشي: (13/1).

وقال في الموضع الثاني، فقال: " هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها. وزاد فيه قوم، فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها. "[1]

– **ابنُ عَرَفَةَ المالكي**: "... هو العلم بمدلول القرآن وخاصية كيفية دلالته، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ.

فقولنا: خاصية كيفية دلالته: هي إعجازه، ومعانيه البيانية، وما فيه من علم البديع الذي يذكره الزمخشري، ومن نحا نحوه."[2]

– **محمد الطاهر بن عاشور**، قال: "التفسير ... : اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يستفاد منها، باختصار أو توسع."[3]

– **محمد عبد العظيم الزُّرقاني**، قال: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية. "[4]

– **مناع القطان**، قال: "بيان كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم."

فبيان كلام الله . هذا المركب الإضافي: يخرج بيان كلام غير الله من الإنس والجن والملائكة.

والمنزل: يخرج كلام الله الذي استأثر به سبحانه.

تقييد المنزل بكونه «على محمد صلى الله عليه وسلم»: يخرج به ما أنزل على الأنبياء قبله؛ كالتوراة والإنجيل."[5]

– **محمد بن صالح بن عثيمين**: "بيان معاني القرآن الكريم"[6]

ساق كل هذه التعريفات الدكتور مساعد الطيار وقام بتحليلها مخرجا ما كان فيه مما لا يدخل في التفسير، ثم قال: "وبعد هذا التفصيل يمكن القول بأن التفسير: "بيان القرآن الكريم."

فخرج بالبيان: ما كان خارجا عن حد البيان؛ ككثير من المسائل الفقهية، والمسائل النحوية، ومبهمات القرآن، وغيرها مما يذكر في كتب التفسير، مما لا أثر له في التفسير.

ويخرج بالقرآن: غير كلام الله سبحانه، وكلامه لملائكته، وكلامه لرسله السابقين محمدا صلى الله عليه وسلم، والحديث القدسي، والله أعلم. "[7]

2– مفهوم التحليل:

أ– لغة: قال ابن فارس: "(حل) الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل، وأصلها كلها عندي فتح الشيء، لا يشذ عنه شيء. يقال حللت العقدة أحلها حلا. ويقول العرب: " يا عاقد اذكر حلا ". والحلال: ضد الحرام، وهو من الأصل الذي

(1) المصدر السابق: (148/2).

(2) تفسير ابن عرفة: (59/1).

(3) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (11/1).

(4) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني: (133/2).

(5) التفسير اللغوي للقرآن الكريم لمساعد الطيار: (ص:24-25).

(6) أصول في التفسير لابن عثيمين: (ص:23).

(7) التفسير اللغوي للقرآن الكريم لمساعد الطيار: (ص:32).

ذكرناه، كأنه من حللت الشيء، إذا أبحته وأوسعته لأمر فيه. وحل: نزل. وهو من هذا الباب لأن المسافر يشد ويعقد، فإذا نزل حل؛ يقال حللت بالقوم. وحليل المرأة: بعلها؛ وحليلة المرء: زوجه. وسميا بذلك لأن كل واحد منهما يحل عند صاحبه."[1]. والتحليل يطلق على رد الشيء إلى عناصره[2].

ب- اصطلاحا:

التحليل رد الشيء إلى عناصره الأساسية (الأولية)؛ أي رده إلى أصله، فهو تحليل للقضايا إلى عناصرها المكونة [3].

3- مفهوم التفسير التحليلي:

يراد بالتفسير التحليلي: بيان الآيات القرآنية بيانا مستفيضا من جميع نواحيها، بحيث يسير المفسر فى هذا البيان مع آيات السورة آية آية، شارحا مفرداتها، وموجها إعرابها، وموضحا معانى جملها، وما تهدف إليه تراكيبها من أسرار وأحكام، ومبينا أوجه المناسبات بين الآيات والسور، مستعينا فى ذلك بالآيات القرآنية الأخرى ذات الصلة، وبأسباب النزول، وبالأحاديث النبوية، وبما صح عن الصحابة والتابعين، وبغير ذلك من العلوم التى تعينه على فهم النص القرآنى وتوضيحه للقراء، مازجا ذلك بما يستنبطه عقله، وتمليه عليه نزعته."[4]

ويمكن القول: التفسير التحليلي هو أن يخطو المفسر خطوات معينة فيتتبع الآيات حسب ترتيب المصحف؛ فيأخذ جملة من الآيات متتابعة، أو سورة كاملة، أو القرآن الكريم كله ويبين ما يتعلق بكل آية من إيراد لسبب نزولها، وتحليل ألفاظها الغريبة، وإعراب ما يؤثر في المعنى فيظهره ويرسخه، ووجوه البلاغة فيها لبيان إعجازه، ومعناها الإجمالي، وما يستفاد منها من أحكام وحكم.

ثانيا: الخطوات المنهجية في التفسير التحليلي:

من خلال النظر في كتب التفسير يمكن استنتاج الخطوات التي يسير عليها المفسرون في تفسير القرآن الكريم، وهي كما يلي:

الخطوة الأولى: بين يدي السورة: وتتضمن البحث في:

فاتحة السّورة المدروسة وتسميتها وعدد آيها، وفضلها –إن وجد- وكونها مكية أم مدنية، وسبب نزولها وزمن نزولها–إن وجد-. ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، وبيان ما اشتملت عليه السورة.

وتهدف هذه الخطوة إلى إعطاء تصور عام عن السورة.

الخطوة الثانية: التفسير التحليلي للسورة. وتتضمن البحث في:

- **تحديد مجموعة من الآيات:** وتكون ذات فكرة واحدة، ويستحسن أن يختار لها عنوان.
- **سبب النزول:** ويبحث عنه من كتب السنة ويكون ثابتا صحيحا لأنه يؤثر في التفسير.

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس:(20/2).

(2) معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر: (549/1).

(3) موقع كلية الآداب في العراق على الرابط:

http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=8&lcid=24401

(4) الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين: (ص278).

– **تحليل الكلمات:** يختص البحث بالكلمات الغريبة، فيبين معناها واشتقاقها اللغوي وتدعم بالشواهد إن وجد، ويعتمد في معناها المراد على السياق والأدلة.

الإعراب: إعراب المواضع التي تثري المعنى وتزيل الإشكال.

القضايا البلاغية: والتي يظهر من خلالها الإعجاز البياني في الآيات المدروسة.

المعنى الإجمالي للآيات: ويستخلص من كتب التفسير، ويعتمد فيه القول الراجح إن كان هناك اختلاف بين المفسرين في تفسير الآيات المدروسة.

ما يستفاد من الآيات: ويتضمن الفوائد والأحكام المستنتجة من الآيات.

ثالثا: أهمية التفسير التحليلي والحاجة إليه:

من خلال تعريف التفسير التحليلي والخطوات التي يسير عليها مفسر الآيات تحليليا تظهر جليا أهمية هذا النوع من التفسير والحاجة إليه، فمن خلاله يجلو الغموض عن غريب كتاب الله، وتظهر قوة تراكيب القرآن وبلاغته وإعجازه، ويتوصل إلى فهم مراد الله تعالى من كلامه، واستنباط الحكم والفوائد والأحكام، ومن ثم يسهل حفظه ويحصَّل علمه ويعمل بمحكمه، ويؤمن بمتشابهه.

– من أهم مصادر التفسير التحليلي:

– جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري (ت 310 ه)

– معالم التنزيل للبغوي (ت 516 ه)

– المحرر الوجيز لابن عطية (ت 542 ه)

– البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (745ه).

– الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت 671 ه)

– تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت 774 ه)

– فتح القدير للشوكاني (ت 1250 ه)

– روح المعاني للآلوسي (ت 1270 ه)

– مجالس التذكير لعبد الحميد ابن باديس الجزائري (ت 1360ه- 1940م)

– تفسير التحرير و التنوير لابن عاشور (ت 1393ه-1973م)

– التفسير المنير لوهبة الزحيلي (ت1437ه- 2015م).

المحاضرة الثانية:

التفسير التحليلي لسورة النبأ

أولا: بين يدي السورة.

1- فاتحة السورة:

افتتحت سورة النبأ بالاستفهام، وهو أحد الأنواع العشرة التي تفتتح بها سور القرآن الكريم. وهي:

الثناء: في ثلاث عشرة سورة، والثناء قسمان: إثبات لصفات المدح، ونفي وتنزيه من صفات النقص؛ فسور الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر افتتحت بـ (الحمد لله)، وسورة الإسراء بـ (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا)، وسورتا الفرقان والملك بـ (تبارك الذي نزل الفرقان) و(تبارك الذي بيده الملك)، وسور الحديد والحشر والصف بـ (سبح لله)، وسورتا الجمعة والتغابن بـ (يسبح لله).

حروف الهجاء: في تسع وعشرين سورة؛ فسور البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة افتتحت بـ (الـمّ)، وسورة الأعراف بـ (المّص)، وسور يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر بـ (الر)، وسورة الرعد بـ (المّر) وسورة مريم بـ (كهيعص)، وسورتا الشعراء والقصص بـ (طسـمّ)، وسورة النمل بـ (طس)، وسور غافر وفصلت والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف بـ (حم)، وسورة الشورى بـ (حم عسق)، وسور (طه) و(يس) و(ص) و(ق) و(ن) افتتحت بما سميت به.

النداء: في عشر سور؛ فسورتا النساء والحج افتتحت بـ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ)، وسور المائدة والممتحنة والحجرات بـ (يا أيها الذين آمنوا)، وسور الأحزاب والطلاق والتحريم بـ (يا أيها النبي)، وسورة المزمل بـ (يا أيها المزمل)، وسورة المدثر بـ (يا أيها المدثر).

الشرط: في سبع سور؛ فسورة الواقعة افتتحت بـ (إذا وقعت الواقعة)، وسورة المنافقون بـ (إذا جاءك المنافقون)، وسورة التكوير بـ (إذا الشمس كورت)، وسورة الانفطار بـ (إذا السماء انفطرت)، وسورة الانشقاق بـ (إذا السماء انشقت)، وسورة الزلزلة بـ (إذا زلزلت الأرض زلزالها)، وسورة النصر بـ (إذا جاء نصر الله).

الجمل الخبرية: في إحدى وعشرين سورة؛ فسورة الأنفال افتتحت بـ (يسألونك عن الأنفال)، وسورة التوبة بـ (براءة من الله ورسوله)، وسورة النحل بـ (أتى أمر الله)، وسورة الأنبياء بـ (اقترب للناس حسابهم)، وسورة المؤمنون بـ (قد أفلح المؤمنون)، وسورة النور بـ (سورة أنزلناها وفرضناها) وسورة الزمر بـ (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم)، وسورة محمد بـ (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ...)، وسورة الفتح بـ (إنا فتحنا لك فتحت مبينا)، وسورة القمر بـ (اقتربت الساعة...)، وسورة الرحمن بـ (الرحمن علم القرآن)، وسورة المجادلة بـ (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها)، وسورة الحاقة بـ (الحاقة ما الحاقة)وسورة المعارج بـ (سأل سائل)وسورة نوح بـ (إنا أرسلنا نوحا)، وسورة عبس بـ (عبس وتولى)، وسورة القدر بـ (إنا أنزلناه في ليلة القدر)، وسورة البينة بـ (لم يكن الذين كفروا...)، وسورة القارعة بـ (القارعة ما القارعة)، وسورة التكاثر بـ (ألهاكم التكاثر)، وسورة الكوثر بـ (إنا أعطيناك الكوثر).

القسم: في سبع عشرة سورة؛ فسورة الصافات بـ (والصافات صفا)، وسورة الذاريات بـ (والذاريات ذروا)، وسورة الطور بـ (والطور وكتاب مسطور)،وسورة النجم بـ (والنجم إذا هوى)، وسورتا القيامة والبلد بـ (لا أقسم)، وسورة المرسلات بـ (والمرسلات عرفا)،وسورة النازعات بـ (والنازعات غرقا)،وسورة البروج بـ (والسماء ذات البروج)،وسورة الطارق بـ (والسماء

والطارق)،وسورة الفجر بـ (والفجر وليال عشر)،وسورة الشمس بـ (والشمس وضحاها)،وسورة الليل بـ (واليل إذا يغشى)، وسورة الضحى بـ (والضحى واليل إذا سجى)،وسورة التين بـ (والتين والزيتون)، وسورة العاديات بـ (والعاديات ضبحا)،وسورة العصر بـ (والعصر إن الإنسان لفي خسر).

الأمر: في سبع سور؛ فسورة الجن بـ (قل أوحي إلي...)، وسورة الأعلى بـ (سبح اسم ربك الأعلى)، وسورة العلق بـ (إقرأ بسم ربك)، وسورة الكافرون بـ (قل يا أيها الكافرون)، وسورة الإخلاص بـ (قل هو الله أحد)، وسورة الفلق والناس بـ (قل أعوذ).

التعليل: في سورة قريش وهو (لإيلاف قريش).

الدعاء: في ثلاث سور؛ فسورة المطففين افتتحت بـ (ويل للمطففين)، وسورة الهمزة بـ (ويل لكل همزة لمزة)، وسورة المسد بـ (تبت يدا أبي لهب).

الاستفهام: في ست سور؛ فسورة الإنسان افتتحت بـ (هل أتى على الإنسان)، وسورة النبأ بـ (عم يتساءلون)، وسورة الغاشية بـ (هل أتاك حديث الغاشية)، وسورة الشرح بـ (ألم نشرح لك صدرك)، وسورة الفيل بـ (ألم تر كيف فعل ربك ...)، وسورة الماعون بـ (أرأيت الذي يكذب بالدين)[1].

جمعتُ ذلك في بيتين فقلت:

عشْرة أنواع فواتح السورْ شرط وتعليل وجملة الخبرْ
أمــر وقســم ثناء ونـداءْ ثم استفهام وهجاء ودعاءْ

2- أسماء السورة:

للسورة عدة اسماء هي:

سورة عمَّ: كما جاء في افتتاحيتها: ﴿عمَّ يتساءلون﴾[2].

سورة "عم يتساءلون" كما جاء في افتتاحها[3].

سورة التساؤل: من قوله تعالى: ﴿يتساءلون﴾في أولها[4]، وكذلك سماها أب عمرو الداني[5].

سورة النبأ: لقوله تعالى: ﴿عن النبأ العظيم﴾[6].

سورة المعصرات: لقوله سبحانه: ﴿ وأنزلنا من المعصرات﴾ [7].

3- عدد آيات السورة وكلماتها وحروفها:

عدد آيات السورة أربعون آية، وقيل إحدى وأربعون آية[8]، والاختلاف في "﴿عذابا قريبا﴾ عدهَا الْبَصْرِيّ وَلم يعدها

(1) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: (448/2).
(2) تفسير القرطبي:(169/19)، تفسير ابن كثير: (311/8).
(3) تفسير الطبري: (181/24)، الكشاف للزمخشري: (683/4)، زاد المسير لابن الجوزي:(387/4).
(4) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (5/30).
(5) البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني: (ص:262).
(6) الكشاف للزمخشري: (683/4)، تفسير القرطبي:(169/19).
(7) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (5/30).
(8) الكشاف للزمخشري: (683/4)، تفسير القرطبي:(169/19).

الْبَاقُونَ وَلَيْسَ فِيهَا مِمَّا يشبه الفواصل شَيْءٌ[1]، وهي مائة وثلاث وسبعون كلمة وسبع مائة وسبعون حرفا [2].

4- زمان نـزولـــها:

سورة النبأ مكية إجماعا[3]، وعدت السورة الثمانين في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد، نزلت بعد سورة المعارج وقبل سورة النازعات[4].

5- المناسبات:

أ- مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها وهي المرسلات من وجوه ثلاثة:

- تشابه السورتين في الكلام عن البعث وإثباته بالدليل، وبيان قدرة اللّه عليه، وتوبيخ الكفار المكذبين به، ففي المرسلات: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً﴾ وفي هذه قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً .. ﴾الآيات [6- 16].

- اشتراك السورتين في وصف الجنة والنار، ونعيم المتقين وعذاب الكافرين، ووصف يوم القيامة وأهواله.

- فصّلت هذه السورة ما أجمل في السورة المتقدمة، فقال تعالى في المرسلات: لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ، لِيَوْمِ الْفَصْلِ، وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ [12- 14] وقال سبحانه في هذه السورة: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً ﴾ [17] إلى آخر السورة[5].

ب- مناسبة السورة لما بعدها:

تتعلق السورة بما بعدها من وجهين:

- تشابه الموضوع: فكلتا السورتين تتحدثان عن القيامة وأحوالها، وعن مآل المتقين، ومرجع المجرمين.

- تشابه المطلع والخاتمة: فإن مطلع السورتين في الحديث عن البعث والقيامة، الأولى تؤكد وجود البعث وما فيه من أهوال وحساب وجزاء، والثانية افتتحت بالقسم على وقوع القيامة لتحقيق ما في آخر عم. والأولى اختتمت بالإنذار بالعذاب القريب يوم القيامة، والثانية ختمت بالكلام عما في أولها من إثبات الحشر والبعث، وتأكد حدوث القيامة، فكان ذلك كالدليل والبرهان على مجيء القيامة وأهوالها[6].

ج- المناسبة بين افتتاحية السّورة وخاتمتها:

لما كان افتتاح السورة بالاستفهام الإنكاري على إنكارهم واستبعادهم لهذا اليوم العظيم الذي هو يوم الفصل ويوم يقوم الناس لرب العالمين، كان خاتمة السورة بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴿٤٠﴾ ﴾[7]

(1) البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني: (ص:262).

(2) المصدر نفسه: (ص:262).

(3) زاد المسير لابن الجوزي:(387/4).

(4) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (5/30).

(5) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (5/30)

(6) المرجع نفسه: (30/30).

(7) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن : (2/9).

6- ما اشتملت عليه السورة:

اشتملت هذه السورة على وصف خوض المشركين في شأن القرآن وما جاء به مما يخالف معتقداتهم، ومن ذلك إثبات البعث، وسؤال بعضهم بعضا عن الرأي في وقوعه مستهزئين بالإخبار عن وقوعه.

وتهديدهم على استهزائهم.

وفيها إقامة الحجة على إمكان البعث بخلق المخلوقات التي هي أعظم من خلق الإنسان بعد موته وبالخلق الأول للإنسان وأحواله.

ووصف الأهوال الحاصلة عند البعث من عذاب الطاغين مع مقابلة ذلك بوصف نعيم المؤمنين.

وختمت السورة بالإخبار بأن هذا اليوم حق لا ريب فيه، وبإنذار الكفار بالعذاب الأليم القريب الذي يتمنون من شدته أن يعودوا ترابا[1].

والسورة كلها يشيع فيها جو التهويل والتخويف والتهديد والإنذار، حتى لكأن التالي لها يكاد يلمس الصور الرهيبة لأحداث القيامة، ويتملكه الذعر والخوف من شدائدها وأحوالها[2].

المحاضرة الثالثة:

ثانيا: التفسير التحليلي للسورة:

المقطع الأول: الإخبار عن البعث وأدلة إثباته:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَاجٗا ۝٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ۝١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ۝١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ۝١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ۝١٦ ﴾

1- سبب النزول:

روى ابن جرير الطبري عن الحسن قال: لما بُعِث النبيّ صلى الله عليه وسلم جعلوا يتساءلون بينهم، فأنزل الله: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ﴾ يعني: الخبر العظيم.

قال أبو جعفر: ثم أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن الذي يتساءلونه، فقال: يتساءلون عن النبأ العظيم: يعني: عن الخبر العظيم[3].

2- مناسبة المقطع لما قبله:

لما ختم تعالى سورة المرسلات بقوله: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾ وكان المراد بالحديث فيه القرآن الكريم افتتح سورة النبأ بتهويل التساؤل عنه والاستهزاء به، وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة: إن المراد بالنبأ العظيم القرآن، وجمهور العلماء على أن المراد به البعث، وهو الأنسب بالآيات[4].

---

(1) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (6/30).

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة الزحيلي: (6/30)

(3) تفسير الطبري: (149/24).

(4) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمجموعة من العلماء: (3/9)

3- تحليل الكلمات:

عـــــمَّ: عَمَّ أصله: عن ما، إلا أنه لما دخلت (عن) على (ما) الاستفهامية حذفت ألفها[1] ليتميز الخبر عن الاستفهام[2]. ومعنى (عم): عـن أيّ شيء؟[3] .

قلت فيه نظما وهو:

و(عمّ) لفـظ قد أتـانا مــدغما فهو إذًا مركب من عن و ما

عـن أي شيء قيل في معنـاها والألف احذفـنَّ لا تنســاها

وعن سبب وصل الميم بـ (عن) وإدغام النون في الميم قال ابن عاشور: "ولما بقيت كلمة (ما) بعد حذف ألفها على حرف واحد جروا في رسم المصحف على أن ميمها الباقية تكتب متصلة بحرف (عن)؛ لأن (ما) لما حذف ألفها بقيت على حرف واحد فأشبه حروف التهجي، فلما كان حرف الجر الذي قبل (ما) مختوما بنون والتقت النون مع ميم (ما)، والعرب ينطقون بالنون الساكنة التي بعدها ميم ميما ويدغمونها فيها، فلما حذفت النون في النطق جرى رسمهم على كتابة الكلمة محذوفة النون تبعا للنطق، ونظيره قوله تعالى: ﴿مم خلق﴾ وهو اصطلاح حسن. "[4]

وقد يفصل حرف الجر عن ما ضرورة أو في قليل من الكلام فلا تحذف الألف[5]، كقول حسان:

على ما قامَ يَشْتِمُني لَئيمٌ ... كخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ في دَمَانِ[6].

يتساءلون: أي يسأل بعض قريش بعضا. ومعنى الاستفهام: تعظيم شأن ما يتساءلون عنه.

النبأ : قال الراغب: "النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر"[7]، والنبإ العظيم: قال مجاهد هو القرآن، دليله قوله سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴾ [الآية] [ص:67] وقال قتادة: هو البعث[8]، وقيل: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم[9].

والراجح: البعث. قال الرازي: " وهذا هو الأقرب ويدل عليه وجوه أحدها: قوله: سيعلمون والظاهر أن المراد منه أنهم سيعلمون هذا الذي يتساءلون عنه حين لا تنفعهم تلك المعرفة، ومعلوم أن ذلك هو القيامة وثانيها: أنه تعالى بين كونه قادرا على جميع الممكنات بقوله: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴾ إلى قوله: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ وذلك يقتضي أنه تعالى إنما قدم هذه المقدمة لبيان كونه تعالى قادرا على إقامة القيامة، ولما كان الذي أثبته الله تعالى بالدليل العقلي في هذه السورة

---

(1) ينظر: تفسير السمعاني: (135/6).

(2) تفسير القرطبي: (169/19)، فتح القدير للشوكاني: (437/5).

(3) الكشف والبيان للثعلبي:(113/10)، تفسير القرطبي: (169/19).

(4) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (7/30).

(5) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي: (647/10).

(6) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام: (ص:394).

(7) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: (ص:533).

(8) الكشف والبيان للثعلبي:(113/10).

(9) تفسير السمرقندي: (536/3).

هو هذه المسألة ثبت أن النبأ العظيم الذي كانوا يتساءلون عنه هو يوم القيامة وثالثها: أن العظيم اسم لهذا اليوم بدليل قوله: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ *لِيَوْمٍ عَظِيمٍ *يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: 4، 6]"[1]

الذي هم فيه مختلفون: أي متفرقون ما بين شاك ومكذب ومصدق، قال الزمخشري: "فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون؟ قلت: كان فيهم من يقطع القول بإنكار البعث، ومنهم من يشك. وقيل: الضمير للمسلمين والكافرين جميعا، وكانوا جميعا يسألون عنه. أما المسلم فليزداد خشية واستعدادا، وأما الكافر فليزداد استهزاء."[2]

كلا: حرف ردع وزجر

مِهَادًا: أي: ممهدة مهيأة لكم ولمصالحكم، من الحروث والمساكن والسبل[3]. والمهاد: الوطاء والفراش. وقد قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ [البقرة: 22] وقرىء" مهدا". ومعناه أنها لهم كالمهد للصبي[4].

أوتادا : جمع وتِد: وهو ما يدق في الأرض لربط حبال الخيمة التي تشد بها. والمعنى تثبت بها الأرض كما تثبت الخيمة بالأوتاد[5] .

سباتا: أي راحة لأبدانكم، ومنه يوم السبت أي يوم الراحة، أي قيل لبني إسرائيل: استريحوا في هذا اليوم، فلا تعملوا فيه شيئا.وقيل: أصله القطع، يقال: سبت شعره سبتا: حلقه وكأنه إذا نام انقطع عن الناس وعن الاشتغال، فالسبات يشبه الموت، إلا أنه لم تفارقه الروح. ويقال: سير سبت: أي سهل لين[6].

لباسا: أي ساتراً بظلامه وسواده[7] .

معاشا: أي وقت معاش؛ أي متصرفا لطلب المعاش وهو كل ما يعاش به من المطعم والمشرب وغير ذلك[8].

شدادا: أي قوية محكمة الواحدة شديدة والجمع شداد[9] .

سراجا وهاجا: أي ضوء الشمس وهاجا وقادا[10]، قال ابن عباس: وهاجا منيرا متلألئا[11].

المعصرات: قال مجاهد وقتادة: والمعصرات الرياح. وقاله ابن عباس: كأنها تعصر السحاب. وعن ابن عباس أيضا: أنها السحاب. وقال سفيان والربيع وأبو العالية والضحاك: أي السحائب التي تنعصر بالماء ولما تمطر بعد[12].

ومن مسائل نافع ابن الأزرق لابن عباس: قال: أخبرني عن قوله تعالى: المعصرات، قال: السحاب يعصر بعضها بعضا فيخرج الماء بين السحابتين قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول النابغة:

---

(1) مفاتيح الغيب للفخر الرازي: (6/31).

(2) الكشاف للزمخشري: (684/4)

(3) تفسير السعدي: (ص:906).

(4) تفسير القرطبي: (171/19)، فتح القدير للشوكاني: (439/5).

(5) التفسير المنير للزحيلي: (8/30).

(6)تفسير القرطبي: (171/19-172)

(7) أيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري: (501/5).

(8) تفسير القرطبي: (172/19).

(9) أيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري: (501/5).

(10) المصدر نفسه: (501/5)

(11) تفسير القرطبي: (172/19).

(12) المصدر نفسه: (172/19).

تجر بها الأرواح من بين شمأل *** وبين صباها المعصرات الدوامس[1]

ثجّاجا: أي مطرا صبابا كثير الهطول. جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ الحَجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ: « العَجُّ وَالثَّجُّ. »[2].

العج: رفع الصوت بالتلبية، والثج: إراقة دم الهدي[3].

وجنات ألفافا: أي بساتين ملتفة. فيها من جميع أصناف الفواكه اللذيذة[4].

4- القراءات:

عَمَّ: وقف عليه بهاء السكت (عَمَّهْ) يعقوب والبزي بخلف عنه[5].

وجهها صاحب الكشاف بقوله: "ولا يخلو: إما أن يجرى الوصل مجرى الوقف وإما أن يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبإ العظيم على أن يضمر يتساءلون لأن ما بعده يفسره، كشيء يبهم ثم يفسر. "[6].

4- الإعراب:

(عَمَّ): جار ومجرور متعلّق بـ (يتساءلون)، (عَنِ النَّبَأ) متعلّق بفعل محذوف تقديره يتساءلون[7].

(كلّا): حرف ردع وزجر في الموضعين عن التساؤل[8].

مهادا: مَفْعُولا ثَانِيًا لجعل وَمثله **أوتادا** وَمثله **سباتا** لِأَن جعل بِمَعْنى صير، وَمثله **لباسا ومعاشا**[9].

أَزْواجاً: حال؛ أي متجانسين متشابهين[10].

(فوقكم): ظرف منصوب متعلّق بـ (بنينا) بتضمينه معنى رفعنا. **(سبعا)** مفعول به منصوب- وهو نعت عن منعوت محذوف أي سموات سبعا-[11]

(سراجا): مفعول به منصوب عامله جعلنا بتضمينه معنى خلقنا[12]. أي: الفعل والفاعل (جعلنا) والمفعول به (سراجا)، وضُمّن (جعلنا) معنى خلقنا؛ لأن جعلنا في الأصل يتعدى إلى مفعولين، وهنا تعدى إلى مفعول واحد، فهو يتضمن معنى فعل يتعدى إلى مفعول واحد، وأقرب فعل هو خلقنا.

يجوز أن يكون (سراجا) مفعولا ثانيا.. والمفعول الأول محذوف أي جعلنا الشمس سراجا[13].

---

(1) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: (177/1).

(2) أخرجه الترمذي، أبواب الحج، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر، رقم:(827)، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني:(486/3).

(3) ينظر:الكشاف للزمخشري: (686/4)،البحر المحيط لأبي حيان:(385/10)، التفسير المنير للزحيلي: (8/30).

(4) تفسير السعدي:(ص:906).

(5) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضي: (361/2).

(6) الكشاف للزمخشري: (684/4).

(7) الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود صافي: (213/30).

(8) ينظر: المرجع نفسه: (213/30).

(9) مشكل إعراب القرآن لمكي: (79/2).

(10) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري:(1266/2)

(11) الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود صافي: (215/30).

(12) المرجع نفسه: (216/30).

(13) المرجع نفسه: (216/30).

5- البلاغة:

- عم يتساءلون: افتتاح الكلام بالاستفهام عن تساؤل جماعة عن نبأ عظيم، افتتاح تشويق ثم تهويل لما سيذكر بعده، فهو من الفواتح البديعة لما فيها من أسلوب عزيز غير مألوف ومن تشويق بطريقة الإجمال ثم التفصيل المحصلة لتمكن الخبر الآتي بعده في نفس السامع أكمل تمكن.

وإذ كان هذا الافتتاح مؤذنا بعظيم أمر كان مؤذنا بالتصدي لقول فصل فيه، ولما كان في ذلك إشعار بأهم ما فيه خوضهم يومئذ يجعل افتتاح الكلام به من براعة الاستهلال[1].

- عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ: إيجاز بحذف الفعل، لدلالة المتقدم عليه، أي يتساءلون عن النبأ العظيم[2].

- كلا سيعلمون: إيجاز بحذف المفعول، أي سيعلمون ما يحل بهم يوم القيامة، وحذف المفعول ليعم المعلومين فإنهم عند الموت يرون ما سيصيرون إليه [3].

- أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً، وَالْجِبالَ أَوْتاداً: تشبيه بليغ، أي جعلنا الأرض كالمهاد الذي يفترشه النائم، والجبال كالأوتاد التي تثبت غيرها. ومثله وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً أي كاللباس في الستر.

- وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً: بينهما مقابلة، قابل بين الليل والنهار، والراحة والعمل[4].

6- المعنى الإجمالي للآيات:

يقول تعالى منكرًا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارًا لوقوعها[5]**:** عن أيِّ شيء يسأل بعض كفار قريش بعضاً؟ يتساءلون عن الخبر العظيم الشأن، وهو القرآن العظيم الذي ينبئ عن البعث الذي شك فيه كفار قريش وكذَّبوا به. ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون، سيعلم هؤلاء المشركون عاقبة تكذيبهم، ويظهر لهم ما الله فاعل بهم يوم القيامة، ثم سيتأكد لهم ذلك، ويتأكد لهم صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، من القرآن والبعث. وهذا تهديد ووعيد لهم[6].

ثم شرع تعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة، الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره فقال: ألم نجعل الأرض ممهدة للخلائق ذلولا لكم، قارة ساكنة ثابتة[7]، كالفراش؟ والجبال رواسي؛ كي لا تتحرك بكم الأرض؟ وخلقناكم أصنافا ذكورا وإناثا. وجعلنا نومكم راحة لأبدانكم، فيه تهدؤون وتسكنون. وجعلنا الليل لباسًا تَلْبَسكم ظلمته وتغشاكم، كما يستر الثوب لابسه. وجعلنا النهار معاشا تنتشرون فيه لمعاشكم، وتسعَون فيه لمصالحكم؟ وبنينا فوقكم سبع سماوات متينة البناء محكمة الخلق، لا صدوع لها ولا فطور؟ وجعلنا الشمس سراجًا وقَّادًا مضيئًا؟ وأنزلنا من السحب الممطرة ماء منصَبّا بكثرة؛ لنخرج به حبًا مما يقتات به الناس، وحشائش مما تأكله

(1) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (6/30).

(2) التفسير المنير للزحيلي: (7/30)

(3) ينظر:تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (12/30).

(4) التفسير المنير للزحيلي: (8/30)

(5) تفسير ابن كثير: (302/8).

(6) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: (ص:582).

(7) ينظر: تفسير ابن كثير: (302/8).

الدَّواب، وبساتين ملتفة بعضها ببعض لتشعُّب أغصانها؟[1]

7- ما يستفاد من الآيات:

- تفخيم شأن البعث وتهويله وتعظيم أمره، وتأكيد وقوعه وأنه حق ثابت لا ريب فيه.

- سيعلم الكفار المكذّبون صدق ما جاء به محمد صلّى اللّه عليه وسلّم من القرآن ومما ذكره لهم من البعث بعد الموت، حين يحل بهم العذاب والنكال. وفيه وعيد بعد وعيد.

- رد اللّه تعالى على المشركين منكري البعث، وأثبت لهم قدرته على البعث والمعاد والحشر والنشر من خلال الإتيان بما هو مشاهد معاين لهم وهو إيجاد عجائب المخلوقات، والقدرة على إيجاد هذه الأمور أعظم من القدرة على الإعادة.

- ذكر اللّه تعالى من عجائب مخلوقاته الدالة على كمال القدرة وتمام العلم والحكمة أمورا تسعة [6- 16] وهذه الأمور التسعة نظرا لحدوثها وإمكانها وتجددها تدل على وجود الفاعل المختار، كما يدل ما فيها من الإتقان والإحكام على كمال العلم والحكمة الذاتية، وإذا ثبت كمال اللّه تعالى في هذه الأوصاف، ثبت قطعا إمكان الحشر دون أي شك، ثم في إخراج النبات بعد جفافه ويبسه دليل ظاهر حسي قريب للأذهان على إمكان إخراج الموتى من القبور، وبعثهم بعد الموت أحياء.

وفضلا عن ذلك، فإن كل أمر من الأمور التسعة نعمة عظمي، يجب أن تشكر بالإقبال على الطاعة، ولا تكفر بالإقدام على المعصية[2].

المحاضرة الرابعة:

المقطع الثاني: أوصاف يوم القيامة وأماراته ونوع عذابه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾

1 – مناسبة المقطع لما قبله:

بعد إثبات قدرة اللّه تعالى على تخريب الدنيا، وإيجاد عالم آخر، بإثبات إمكان الحشر وعموم القدرة والعلم، أخبر تعالى عن يوم الفصل وهو يوم القيامة وأنه مؤقت بأجل معلوم لا يزاد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته على التعيين إلا اللّه عز وجل، ثم ذكر علامات ذلك اليوم من نفخ الصور، وتصدع السماء، وتسيير الجبال عن أماكنها وصيرورتها هباء كالهواء، ثم أوضح أن جهنم مرصد للطغاة وهم الكافرون المكذبون بآيات اللّه، الذين أحصى اللّه عليهم كل شيء من أعمالهم، وسيلقون جزاء ما صنعوا[3].

(1) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: (ص:582)

(2) التفسير المنير للزحيلي: (12/30).

(3) المصدر السابق: (16/30).

2 – تحليل الكلمات:

يَوْمَ الْفَصْلِ: هو يوم القيامة، لأن الله تعالى يفصل فيه بين المؤمنين والكافرين، وبين الحق والباطل[1].

كانَ مِيقاتاً: أي في علم اللّه، أو في حكمه وقتا للثواب والعقاب، وحدا تنتهي عنده الدنيا[2].

الصُّورِ: القرن الذي ينفخ فيه لبعث الناس. هذا قول الجمهور، ويحتمل هذا الموضع أن يكون «الصور» فيه جمع صورة أي يوم يرد الله فيه الأرواح إلى الأبدان، هذا قول بعضهم في الصُّورِ وجوزه أبو حاتم، والأول أشهر وبه تظاهرت الآثار، وهو ظاهر كتاب الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى﴾ [الزمر: 68][3]. والنافخ الموكل فيها إسرافيل، ينفخ فيها نفختين: الأولى: يفزع الناس ثم

يصعقون فيموتون، والثانية: يبعثون من قبورهم وتعود إليهم أرواحهم[4].

فَتَأْتُونَ أَفْواجاً: أي إلى موضع العرض أفواجا؛ أي أمما، كل أمة مع إمامهم. وقيل: زمرا وجماعات. الواحد: فوج[5].

وَفُتِحَتِ السَّماءُ: شققت وصدّعت.

فَكانَتْ أَبْواباً: ذات أبواب، أو صارت من كثرة الشقوق كأنها أبواب.

وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ: أزيلت عن أماكنها، وأصبحت في الهواء كالهباء.

سَراباً: مثل السراب، إذ ترى على صورة الجبال وليست جبالا في الحقيقة بل غبارا[6].

مِرْصاداً: الرصد: كل شي كان أمامك. قال الحسن: إن على النار رصدا، لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجئ بجواز حبس[7].

لِلطَّاغِينَ مَآباً: إن جهنم للذين طَغَوا في الدنيا، فتجاوزوا حدود الله استكبارا على ربهم كانت منزلا ومرجعا يرجعون إليه، ومصيرا يصيرون إليه يسكنونه.

لابِثِينَ: ماكثين[8].

أَحْقاباً: قال الراغب: "قيل: جمع الحقب أي الدهر، قيل: والحقبة ثمانون عاما وجمعها حقب، الصحيح أن الحقبة مدة من الزمان مبهمة. "[9]

وقال السمعاني: "أظهر الأقوال أنه ثمانون سنة، كل سنة ثلثمائة وستون يوما، كل يوم ألف سنة، وهو مروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن جبير، وقتادة وغيرهم، ومثله عن أبي هريرة.

---

(1) المحرر الوجيز لابن عطية: (425/5).

(2) التفسير المنير للزحيلي: (15/30).

(3) المحرر الوجيز لابن عطية: (425/5).

(4) تفسير جزء عم لابن عثيمين: (ص:29).

(5) تفسير القرطبي: (175/19).

(6) التفسير المنير للزحيلي: (16/30).

(7) تفسير القرطبي: (177/19).

(8) ينظر: تفسير الطبري: (159/24).

(9) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: (ص:140).

وعن بعضهم: أنه ثلثمائة سنة، كل سنة ثلثمائة وستون يوما، كل يوم مثل مدة الدنيا، وعن بعضهم: بضع وثمانون عاما، فإن قيل: هذه الآية تدل على أن عذاب الكفار ينقطع عند مضي الأحقاب؟ والجواب من وجوه:

أحدها: أن معناه لابثين فيها أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا أي: يعذبون بهذا النوع من العذاب أحقابا، وثم أحقاب أخر لسائر أنواع العذاب، قاله المبرد.

وَالْوَجْه الثَّانِي: وَهُوَ أَن معنى لابثين فِيهَا أحقابا لَا تخبو عَنْهُم النَّار، فَإِذا خبت النَّار وزيدوا سعيرا لَبِثُوا أبدا وَالْوَجْه الثَّالِث: مَا قَالَه ابْن كيسَان[1]، وَهُوَ أَن مَعْنَاهُ لابثين فِيهَا أحقابا إِلَى أحقاب لَا تَنْقَطِع أبدا."[2]

لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً: برودة الهواء، ويطلق أيضا على النوم، لكن هذا القول رده الطبري بقوله: " وقد زعم بعض أهل العلم بكلام العرب أن البرد في هذا الموضع النوم، وأن معنى الكلام: لا يذوقون فيها نوما ولا شرابا، واستشهد لقيله ذلك بقول الكنديّ:

بَرَدَتْ مَرَاشِفُها عَليَّ فَصَدَّني ... عَنْها وَعَنْ قُبُلاتِها البَرْدُ

يعني بالبرد: النُّعاس، والنوم إن كان يُبرِد غليلَ العطش، فقيل له من أجل ذلك البرد فليس هو باسمه المعروف، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب، دون غيره."[3]

وَلا شَراباً: أي ما يشرب تلذذا لتسكين العطش.

حَمِيماً: الحميم: الماء الحارّ الشديد الغليان.

وَغَسَّاقاً: قيح وصديد أهل النار الدائم السيلان من أجسادهم[4].

جَزاءً وِفاقاً: أي يجزون بذلك جزاء موافقاً لأعمالهم من غير أن يظلموا، قال الله تبارك وتعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [يونس: 44] . فهذا الجزاء موافق مطابق أعمالهم[5]. قال مقاتل: وافق العذاب الذنب، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار[6].

لا يَرْجُونَ: لا يخافون أو لا يتوقعون. **حِساباً**: محاسبة على أعمالهم لإنكارهم البعث.

بِآياتِنا: القرآن. **كِذَّاباً**: تكذيبا كثيرا. **وَكُلَّ شَيْءٍ**: أي من الأعمال.

أَحْصَيْناهُ كِتاباً: أي ضبطناه بالكتابة.

فَذُوقُوا: أي فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب عليهم: ذوقوا جزاءكم.

فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذاباً: أي فوق عذابكم[7].

---

(1) هو: محمد بن أحمد بن كيسان، أبو الحسن، النحوي اللغوي الإمام الفاضل أحد المذكورين بالعلم والموصوفين بالفهم، كان يحفظ البصريين والكوفيين في النحو؛ لأنه أخذ عن المبرد وثعلب، وكان فوق الثقة، من تصانيفه: غريب الحديث، معاني القرآن، المختار في علل النحو، توفي سنة (299هـ). ينظر في ترجمته: الوافي بالوفيات للصفدي: (24/2)، الأعلام للزركلي: (308/5).

(2) تفسير السمعاني: (139/6).

(3) تفسير الطبري: (163/24).

(4) التفسير المنير للزحيلي: (16/30).

(5) تفسير جزء عم لابن عثيمين: (ص:31).

(6) تفسير البغوي: (315/8).

(7) التفسير المنير للزحيلي: (16/30).

3 – القراءات:

وفتّحت: خفف التاء الكوفيون وشددها غيرهم[1].

لابثين فيها: قرأ حمزة، وروح (لبثين) بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف[2].

وغساقا: قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم بتشديد السين في الموضعين. وقرأ الباقون بتخفيفها فيها[3].

4 – الإعراب:

إن يوم الفصل ...: استئنافية.

يوم ينفخ في الصور: يوم بدل من يوم الفصل، وجملة (ينفخ...) في محل جر بإضافة الظرف.

جملة (تأتون...) : معطوفة على جملة (ينفخ...) وأفواجا حال من الواو.

(وَفُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً): معطوفة على تأتون... وقيل الواو حالية والجملة في محل نصب على الحال، أي فتأتون والحال أن السماء قد فتحت.

(إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً): استئنافية.

لِلطَّاغِينَ مَآباً: للطاغين: متعلق بمرصادا، ومآبا: خبر ثان لكانت.

لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً: لابثين حال مقدّرة من الضمير المستكن في للطاغين، وأحقابا ظرف متعلق بلابثين.

(لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَلا شَراباً): جملة في موضع الحال من الطاغين، أو نعت للأحقاب، فالأحقاب ظرف زمان، والعامل فيه لابِثِينَ[4].

حَمِيماً: بدل منصوب من بَرْداً وَلا شَراباً. فإن كان بمعنى النوم فهو استثناء منقطع.

جَزاءً: مفعول مطلق .

كِتاباً: مفعول مطلق، وعامله إما أَحْصَيْناهُ بمعنى كتبنا، وإما فعل مقدر من لفظه دل عليه أحصيناه[5].

5 – البلاغـة:

فَكانَتْ أَبْواباً: تشبيه بليغ،... والإخبار عن السماء بأنها أبواب جرى على طريق المبالغة في الوصف بذات أبواب للدلالة على كثرة المفاتح فيها حتى كأنها هي أبواب[6].

فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذاباً: أمر يراد به الإهانة والتحقير، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة في التوبيخ.

بَرْداً وحَمِيماً : بينهما طباق.

أَبْواباً، سَراباً ... مَآباً ،أَحْقاباً، شَراباً ،...حِساباً ،كذابا: سجع مرصع[7].

---

(1) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضي: (361/2).

(2) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: (361/2).

(3) المصدر نفسه: (361/2).

(4) ينظر: إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين الدرويش: (355/10)

(5) التفسير المنير للزحيلي: (15/30).

(6) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (32/30-33).

(7) التفسير المنير للزحيلي: (15/30).

6 – المعنى الإجمالي للآيات:إن يوم الفصل بين الخلق، وهو يوم القيامة، كان وقتًا وميعادًا محددًا للأولين والآخرين، يوم ينفخ المَلَك في «القرن» إيذانًا بالبعث فتأتون أممًا، كل أمة مع إمامهم، وفُتحت السماء، فكانت ذات أبواب كثيرة لنزول الملائكة، ونسفت الجبال بعد ثبوتها، فكانت كالسراب، إن جهنم كانت يومئذ ترصد أهل الكفر الذين أُعِدَّت لهم، للكافرين مرجعًا، ماكثين فيها دهورًا متعاقبة لا تنقطع، لا يَطْعَمون فيها ما يُبْرد حرَّ السعير عنهم، ولا شرابًا يرويهم، إلا ماءً حارًا، وصديد أهل النار، يجازَون بذلك جزاء عادلا موافقًا لأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا. إنهم كانوا لا يخافون يوم الحساب فلم يعملوا له، وكذَّبوا بما جاءتهم به الرسل تكذيبا، وكلَّ شيء علمناه وكتبناه في اللوح المحفوظ، فذوقوا –أيها الكافرون– جزاء أعمالكم، فلن نزيدكم إلا عذابًا فوق عذابكم[1].

7 – ما يستفاد من الآيات:

يستفاد من الآيات ما يلي:

– إن يوم القيامة الذي يفصل الله فيه بين الخلائق وقت، ومجمع، وميعاد للأولين والآخرين، لما وعد الله من الجزاء والثواب.

– تحدث في بداية يوم القيامة ظواهر خطيرة ثلاث: هي نفخ إسرافيل في الصور (القرن) فيأتي الناس من قبورهم زمرا وجماعات، وتفتّح وتشقّق أو تفطر السماء، فتصير كلها كأنها أبواب، وتسيير الجبال وإزالتها من أماكنها الأصلية.

– أخبر الله تعالى عن حال الأشقياء، وقدم ذكرهم على السعداء لأن الكلام في السورة بنى على التهديد، وهو أن جهنم تكون مكانا مرصدا للطغاة الذين طغوا في دينهم بالكفر، وفي الدنيا بالظلم، أو أنها ترصد أعداء الله وتراقبهم حتى ينزلوا فيها، وتكون المرجع الذي يرجعون فيه إليها.

– كيفية استقرارهم في النار: هي أنهم يكونون ماكثين في نار جهنم إلى الأبد ما دامت الأحقاب تتوالى، وهي لا تنقطع، فكلما مضى حقب جاء حقب، والحقب: الدهر، والأحقاب: الدهور، والحقبة: السنة.

– لا يذوق الطغاة في جهنم أو في الأحقاب بردا يخفف الحر أو نوما، ولا شرابا يروي من العطش إلا الماء الحار والغساق: صديد أهل النار.

– لا ظلم في هذا الجزاء، وإنما هو موافق لأعمالهم، فإنهم كانوا لا يخافون محاسبة على أعمالهم لأنهم

لا يؤمنون بالبعث، وكذّبوا بما جاءت به الأنبياء تكذيبا شديدا. وهذا دليل على أنهم كذبوا بجميع دلائل الله تعالى في التوحيد والنبوة والمعاد والشرائع والقرآن.

– في قوله تعالى: فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذاباً أظهر الله تعالى غاية السخط بطريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، والتعقيب بفاء الجزاء الدال على أن العقاب سبب عن كفرهم بالحسنات، وتكذيبهم بالآيات[2].

(1) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: (ص:582).

(2) التفسير المنير للزحيلي: (20/30).

المحاضرة الخامسة:

المقطع الثالث: جـــزاء المتـقـيـن:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾

1- مناسبة المقطع لما قبله:

لما ذكر الله تعالى أحوال الطاغين الأشقياء ومآبهم وعذابهم المقيم الذي أعد لهم، أعقب ذلك ببيان أحوال المتقين السعداء[1].

2- تحليل الكلمات:

إن للمتقين: أي الذين اتقوا الشرك والمعاصي خوفا من ربهم وعذابه[2].

مفازا: أي مَنجى من النار إلى الجنة، ومخلصا منها لهم إليها، وظفرا بما طلبوا[3].

حدائق وأعنابا: أي بساتين وأعنابا.

وكواعب: النواهد اللاتي لم تتكسر ثديهن من شبابهن، وقوتهن ونضارتهن.

أترابا: أي في سن واحدة، وأتراب جمع واحده ترب.

وكأسا دهاقا: قال الحسن وقتادة وابن زيد وابن عباس: مترعة مملوءة، يقال: أدهقت الكأس: أي ملأتها، وكأس دهاق أي ممتلئة، قال:

أَلَا فَاسْقِنِي صِرْفًا سَقَانِي السَّاقِي *** مِنْ مَائِهَا بِكَأْسِكَ الدِّهَاقِ.

وقيل: الدهاق: المتتابعة، قال الشاعر:

أَتَانَا عَامِرٌ يَبْغِي قِرَانَا *** فَأَتْرَعْنَا لَهُ كَأْسًا دِهَاقًا

وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وابن عباس أيضا: متتابعة، يتبع بعضها بعضا، ومنه ادهقت الحجارة ادهاقا، وهو شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض، فالمتتابع كالمتداخل.

وعن عكرمة أيضا وزيد بن أسلم: صافية. قال الشاعر:

لَأَنْتَ إِلَى الفُؤَادِ أَحَبُّ قُرْبًا *** مِنَ الصَّادِي إِلَى كَأْسٍ دِهَاقِ

وهو جمع دهق، وهو خشبتان يغمز بهما الساق. والمراد بالكأس الخمر، فالتقدير: خمرا ذات دهاق، أي عصرت وصفيت وتعطى مملوءة متتابعة[4].

لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا: أي: كلاما لا فائدة فيه[5].

---

(1) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمجموعة من علماء التفسير وعلوم القرآن: (14/9).

(2) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري: (505/5).

(3) تفسير الطبري: (169/24).

(4) ينظر: تفسير القرطبي: (183/19).

(5) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (111/1).

وَلا كِذَّابًا: أي: إثما. كما قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الواقعة:25-26][1].

عطاء حسابا: أي كثيرا كافيا وافيا يقال: أحسبت فلانا أي أعطيته ما يكفيه حتى قال: حسبي[2].

قَالَ الشاعر:

وَنُقْفِي وَلِيدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَائِعًا ... وَنُحْسِبُهُ إن كَانَ لَيْسَ بِجَائِعِ[3]

3- القراءات:

وَلَا كِذَّابًا: قرأ الكسائي بتخفيف الذال، وقرأ الباقون بتشديدها[4].

4- الإعراب:

حدآئق: يجوز أن يكون بدلا من «مفازا» بدل اشتمال، أو بدل كل من كل مبالغة: في أن جعلت نفس هذه الأشياء مفازا. ويجوز أن يكون منصوبا بإضمار «أعني»[5]

جزاء: حال من (مفازا)، وأصل الجزاء مصدر جزى، ويطلق على المجازى به من إطلاق المصدر على المفعول، فالجزاء هنا المجازى به وهو الحدائق والجنات والكواعب والكأس[6].

وقيل: جزاء مفعول مطلق لفعل محذوف أي جزاهم الله بذلك جزاء[7].

من ربك: من ابتدائية، أي صادرا من لدن الله، وذلك تنويه بكرم هذا الجزاء وعظم شأنه[8].

عطاء: بدل من جزاء وفي هذا البدل سر لطيف وهو الإلماع إلى أن ذلك تفضّل وعطاء وجزاء مبني على الاستحقاق[9].

حسابا: اسم مصدر حسب بفتح السين يحسب بضمها، إذا عد أشياء وجميع ما تصرف من مادة حسب متفرع عن معنى العد وتقدير المقدار، فوقع حسابا صفة جزاء، أي هو جزاء كثير مقدر على أعمالهم. والتنوين فيه للتكثير، والوصف باسم المصدر للمبالغة وهو بمعنى المفعول؛ أي محسوبا مقدرا بحسب أعمالهم[10].

5- المعنى الإجمالي للآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء المستلزمة لعقيدة التوحيد والنبوة، بعد أن ذكر تعالى حال الطغاة الفجار وبين مصيرهم غاية البيان ثَّنى بذكر المتقين الأبرار الذين اتقوا سخط ربهم، بالتمسك بطاعته، والانكفاف عما يكرهه، أن لهم فوزًا بدخولهم الجنة. إن لهم بساتين عظيمة وأعنابًا، وخص الأعناب لشرفها وكثرتها في تلك الحدائق، ولهم زوجات على مطالب النفوس حديثات السن، ينكعب ثدي الواحدة أي يستدير ويرتفع كالكعب وذلك عند بلوغها،

---

(1) تفسير السعدي: (ص:907).

(2) الكشف والبيان للثعلبي: (118/10).

(3) إصلاح المنطق لابن السكيت: (ص:172).

(4) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: (397/2).

(5) الدر المصون للسمين الحلبي: (661/10).

(6) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (47/30).

(7) إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين الدرويش: (358/10).

(8) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (47/30).

(9)إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين الدرويش: (358/10).

(10) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (47/30).

نواهد مستويات في سن واحـدة، ولهم كأس مملوءة خمـرًا. لا يسمـعون في هذه الجنة باطلا من القول، ولا يكذب بعضهم بعضًا. لهم كل ذلك جزاء ومنَّة من الله وعطاءً كثيرًا كافيًا لهم[1].

6- ما يستفاد من الآيات:

وعد الله تعالى المتقين الذين اتقوا مخالفة أمر الله بخمسة أمور:

- الفوز والنجاة والخلاص مما فيه أهل النار.
- التمتع بالرياض الغناء والحدائق أو البساتين المتنوعة الأشجار والأثمار، وهذا هو الأمن الغذائي.
- الاستمتاع بالحور الكواعب ذوات النواهد التي تكعبت أثداؤهن، اللدات الأقران في السن، وهذا هو الإشباع الجنسي أو الغريزي.
- تناول الكؤوس المترعة الملأى بالخمور غير المسكرة، كما وصفها الله تعالى:﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنْها وَلا يُنْزِفُونَ﴾ [الواقعة 56/ 19] . وهذه متعة اللهو المباح.
- الأمن النفسي في الجنة، حيث لا يسمع أهلها باطلا من الكلام، ولا تكذيبا لبعضهم بعضا في مجالس الشراب والمتعة؛ لأن أهل الشراب في الدنيا يسكرون ويتكلمون بالباطل، وأهل الجنة إذا شربوا لم يتغير عقلهم، ولم يتكلموا بلغو.

وبعد تعداد أنواع نعيم أهل الجنة، توّجوا بالمنحة الربانية، وأخبروا بأن الله جزاهم بما تقدم جزاء منه، وأعطاهم عطاء كثيرا كافيا وافيا[2].

المحاضرة السادسة:

المقطع الرابع: عظمة الله ورحمته وتأكيد وقوع يوم القيامة وتهديد الكافرين المعاندين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابَۢا ٤٠ ﴾

1- مناسبة المقطع لما قبله:

لما ذكر سبحانه سعة فضله، وصف نفسه الأقدس بما يدل على عظمته زيادة في شرف المخاطب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن عظمة العبد على حسب عظمة السيد، فقال مبدلاً على قراءة الجماعة وقاطعاً بالرفع على المدح عند الحجازيين وأبي عمرو: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ... ﴾ أي مبدعهما ومدبرهما ومالكهما[3]، ثم ختم الكلام بالإخبار عن يوم القيامة، وأردفه ببيان أن هذا اليوم حق لا ريب فيه، وأن الناس فيه فريقان: فريق بعيد من الله، ومصيره إلى النار، وفريق قريب من الله، وتكريمه وثوابه ومرجعه إلى الجنة، ثم عاد إلى تهديد الكفار المعاندين وتحذيرهم من عاقبة عنادهم وكفرهم[4].

(1) ينظر: أيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري: (505/5)، تفسير السعدي: (ص:907)، التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: (ص:582).
(2) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (24/30).
(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: (211/21).
(4) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (26/30).

2- تحليل الكلمات:

لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً: أي لا يملك العباد من الله تعالى مخاطبة ومكالمة؛ أي لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفا منه[1].

الرُّوحُ: اختلف في المراد منه اختلافا أثاره عطف الملائكة عليه، فقيل هو جبريل. وقيل المراد: أرواح بني آدم. والمعنى: يوم تحضر الأرواح لتودع في أجسادها[2].

والراجح –والله أعلم– هو جبريل عليه السلام؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: 192 – 195].

صَفًّا: مصطفين.

صوابا: أي حقا وصدقا.

مئابا: مرجعا وطريقا يهتدي إليه، ويقرّبه منه، ويدنيه من كرامته، ويباعده عن عقابه، بالإيمان الحق والعمل الصالح.

إِنَّا أَنْذَرْناكُمْ: يا كفار مكة وأمثالكم، والإنذار: التحذير من المكروه قبل وقوعه.

عذاباً قَرِيباً: عذاب يوم القيامة الآتي، وكل آت قريب.

يوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ: حين يرى كل امرئ ما قدمه من خير أو شر[3].

3- القراءات:

رَبّ: قرأ ابن عامر، ويعقوب، والكوفيون بخفض الباء، وقرأ الباقون برفعها.

الرَّحْمَن: قرأ ابن عامر ويعقوب، وعاصم بخفض النون، وقرأ الباقون برفعها[4].

الإعراب:

تعرب (ربّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا الرَّحْمن) حسب كل قراءة كما يلي:

-**رَبُّ** بِالرَّفْعِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، (الرَّحْمَنُ) خَبَرُهُ[5]. أو خبر مبتدأ محذوف (هو) ضمير يعود على قوله: من (ربك) على طريقة حذف المسند إليه، ... والمعنى: إن ربك هو ربهم لأنه رب السماوات والأرض وما بينهما ولكن المشركين عبدوا غيره جهلا وكفرا لنعمته. و(الرحمن) خبر ثان[6]، وقيل (الرَّحْمَنُ) مُبْتَدَأٌ ثَانِيًا[7].

وبِالْخَفْضِ، عطفا (عطف بيان) على قَوْلِهِ: (جَزاءً مِنْ رَبِّكَ) أَيْ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ ربِّ السموات الرَّحْمَنِ[8]. وقيل نعتا في الموضعين لقوله: (جَزاءً مِنْ رَبِّكَ)[9].

---

(1) المرجع نفسه: (25/30).

(2) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (51/30-52).

(3) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (26/30).

(4) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: (397/2).

(5) ينظر:حجة القراءات لابن زنجلة: (ص:747)، تفسير القرطبي: (185/19).

(6) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (48/30).

(7) تفسير القرطبي: (185/19).

(8) ينظر:حجة القراءات لابن زنجلة: (ص:747).

(9) ينظر: تفسير القرطبي: (185/19)، تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (48/30-49).

– **رَبِّ** خفضا عطفا على قَوْلِهِ: (جَزاءً مِنْ رَبِّكَ)، وقيل: نعتا، **الرَّحْمَنُ**: رَفْعًا عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَتَجْعَل قَوْله: (لَا يملكُونَ مِنْهُ) فِي مَوضِع خبر قَوْله: الرَّحْمَنُ[1].

ومنهم من جعل مكان العطف البدل[2].

– **(ما)** موصولة وهي من صيغ العموم، وقد استفيد من ذلك تعميم ربوبيته على جميع المصنوعات.

ينظر: يجوز أن يكون من نظر العين أي البصر، والمعنى: يوم يرى المرء ما قدمته يداه. ويجوز أن يكون من نظر الفكر، ... أي يوم يترقب ويتأمل ما قدمت يداه، وتكون (ما) [بعدها] على هذا الوجه استفهامية، ويجوز أن يكون من الانتظار كقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾ [الأعراف: 53][3].

البلاغة:

(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا): عطف عام على خاص على قول: الروح هو جبريل عليه السلام، وهو من الملائكة، وتخصيصه بالذكر قبل ذكر الملائكة المعطوف عليه لتشريف قدره بإبلاغ الشريعة[4].

المعنى الإجمالي:

الذي أعطى المتقين هذه العطايا هو ربهم رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الذي خلقها ودبرها (الرَّحْمَنِ) الذي رحمته وسعت كل شيء، فرباهم ورحمهم، ولطف بهم، حتى أدركوا ما أدركوا.

ثم ذكر عظمته وملكه العظيم يوم القيامة، وأن جميع الخلق كلهم ذلك اليوم ساكتون لا يتكلمون ولا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فلا يتكلم أحد إلا بهذين الشرطين: أن يأذن الله له في الكلام، وأن يكون ما تكلم به صوابا، لأن ذَلِكَ الْيَوْمُ هو الْحَقُّ الذي لا يروج فيه الباطل، ولا ينفع فيه الكذب، وفي ذلك اليوم يَقُومُ جبريل عليه السلام، الذي هو أشرف الملائكة وَالْمَلائِكَةُ أيضا، يقوم الجميع صَفًّا خاضعين لله لا يَتَكَلَّمُونَ إلا بما أذن لهم الله به.

فلما رغب ورهب، وبشر وأنذر، قال: (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا) أي: عملا وقدم صدق يرجع إليه يوم القيامة.

قال الله: إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا، لأنه قد أزف مقبلا وكل ما هو آت فهو قريب.

(يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) أي: هذا الذي يهمه ويفزع إليه، فلينظر في هذه الدنيا إليه، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨] الآيات[5].

ويتمنى الكافر أنه لم يخلق من الأحياء فضلا عن أصحاب العقول المكلفين بالشرائع، أي يتمنى أن يكون غير مدرك ولا حساس بأن يكون أقل شيء مما لا إدراك له وهو التراب، وذلك تلهف وتندم على ما قدمت يداه من الكفر.

وقد كانوا يقولون: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء: 98] فجعل الله عقابهم بالتحسر وتمني أن يكونوا من جنس التراب[6].

---

(1) ينظر:حجة القراءات لابن زنجلة: (ص:747)، تفسير القرطبي: (185/19).

(2) ينظر:الحجة في القراءات لابن خالويه: (ص:362).

(3) ينظر:تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (56/30-57).

(4) ينظر:المصدر نفسه: (51/30).

(5) تفسير السعدي: (ص:907).

(6) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (58/30).

هداية الآيات:

- لله تعالى في الدنيا والآخرة صفتان عظيمتان: هما العظمة والجلال فهو ربّ السموات والأرض والكون، والرحمة الشاملة لكل شيء، فهو الرحمن الرحيم.
- اقتضت عظمة الله ألا يقدر أحد على مخاطبته يوم القيامة إلا لمن أذن له بالشفاعة.
- لا يتكلم جبريل والملائكة في موقف القيامة إجلالا لربّهم وخوفا منه وخضوعا له، فكيف يكون حال غيرهم؟
- إن يوم القيامة كائن واقع حتما لا شك فيه، فالسعيد من اتّخذ فيه إلى ربّه مرجعا بالإيمان والعمل الصالح.
- إن يوم القيامة وما فيه من العذاب قريب الوقوع لأن كل آت قريب، وفيه يجد كل إنسان ما قدم من خير أو شر.
- يتمنى الكافر يوم القيامة لما يرى من أنواع العذاب أن يكون ترابا أو حيوانا غير مكلف بشيء[1].

(1) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (29/30).

المحاضرة السابعة:

التفسير التحليلي لسورة عبس

أولا: بين يدي السورة:

1- فاتحة السورة:

افتتحت سورة عبس بالخبر المتضمن للعتاب. وكان ذلك بفعلين متحملين لضمير لا معاد له في الكلام تشويق لما سيورد بعدهما، والفعلان يشعران بأن المحكي حادث عظيم، فأما الضمائر فيبين إبهامها قوله: "فأنت له تصدى" وأما الحادث فيتبين من ذكر الأعمى ومن استغنى[1].

2- أسماء السورة:

سميت "عبس" في المصاحف والسنة وكتب التفسير لورودها في بدايتها، وسورة "الصاخة"، وسورة "السفرة"، وسورة "الأعمى"، وكل ذلك تسمية بألفاظ وقعت فيها لم تقع في غيرها من السور، أو بصاحب القصة التي كانت سبب نزولها[2].

3- عدد آيات السورة وكلماتها وحروفها:

آيها أربعون آية في الشامي، وإحدى وأربعون عند أبي جعفر والبصري، واثنتان وأربعون في عدد الباقين.

اختلافها ثلاث آيات: (ولأنعامكم)، لم يعدها البصري والشامي وعدها الباقون. (إلى طعامه)، لم يعدها أبو جعفر وحده، وعدها الباقون وشيبة. (فإذا جاءت الصاخة) ، لم يعدها الشامي، وعدها الباقون[3].

وهي مائة وثلاثون كلمة، وخمس مائة وثلاثة وثلاثون حرفا[4].

4- زمان نـزولـــها:

قال ابن عطية: "وهي مكية بإجماع المفسرين"[5]. وعدت الرابعة والعشرين في ترتيب نزول السور. نزلت بعد سورة (والنجم) وقبل سورة (القدر)[6].

5- المناسبات:

أ- مناسبة السورة لما قبلها:

جاءت سورة عبس لتعانق شقيقتها النازعات عناقا متناسقا متلاحما في مقاطعها وآياتها:

- في كلتا السورتين ذكر سبحانه ضرورة الدعوة إلى الله عز وجل، ففي النازعات جاءت قصة موسى عليه السلام ليدعوه، لكنه كفر وعتى هن أمر ربه، وهذه السورة جاءت لتبين للرسول صلى الله عليه وسلم أن كبار القوم وسادتهم إن لم يؤمنوا فلن يؤثروا في الدعوة، ولا يجب الانشغال بهم عن غيرهم من المستضعفين الراغبين في المعرفة والعلم.

---

(1) ينظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (101/30).

(2) ينظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (101/30).

(3) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي: (156/3)

(4) الكشف والبيان للثعلبي: (130/10).

(5) المحرر الوجيز لابن عطية: (436/5).

(6) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (101/30).

– في كلتا السورتين جاء ذكر فضل الله سبحانه على الإنسان بقوله تعالى:﴿ مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾ [النازعات:33]، ففي سورة النازعات جاءت هذه الآية بعد ذكر السماء والليل والنهار والأرض والجبال فجاءت بشكل عام .وفي هذه السورة كان التفصيل والبيان بذكر أنواع الثمار والأنعم.

– في السورتين كانت النهاية بذكر يوم القيامة: في النازعات كان بيان مصير الفرقين دون تفصيل، وجاءت سورة عبس لتبين وتفصل بعضا مما يكون في ذلك اليوم[1].

بـ– مناسبة السورة لما بعدها:

توضح كل من السورتين أهوال القيامة وشدائدها، ففي سورة عبس قال تعالى: فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ... [33- 42] وفي سورة التكوير قال سبحانه: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ... إلخ، فلما ذكر سبحانه الطامة والصاخة في خاتمتي السورتين المتقدمتين، أردفهما بذكر سورتين مشتملتين على أمارات القيامة وعلامات يوم الجزاء[2].

6– ما اشتملت عليه السورة:

موضوع السورة كسائر موضوعات السور المكية التي تعنى بالعقيدة والرسالة والأخلاق التي قوامها في الإسلام المساواة بين الناس، دون تفرقة بين غني وفقير.

ابتدأت السورة بذكر قصة الأعمى عبد الله بن أم مكتوم ابن خال خديجة بنت خويلد الذي قدم إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم للتعلم، في وقت كان فيه مشغولا مع جماعة من صناديد قريش يدعوهم إلى الإيمان، فعبس النبي صلّى الله عليه وسلّم وجهه وأعرض عنه، فعاتبه الله بقوله: عَبَسَ وَتَوَلَّى.. [الآيات 1– 16] وأبانت أن القرآن ذكرى وموعظة لمن عقل وتدبر.

ثم نددت بجحود الإنسان وكفره بنعم ربه وإعراضه عن هداية الله: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ.. [الآيات 17– 23] .

وأردفت ذلك بإقامة الأدلة على قدرة الله ووحدانيته بخلق الإنسان والنبات وتيسير طعام ابن آدم وشرابه، لإثبات القدرة على البعث: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ.. [الآيات 24– 32] .

وختمت السورة بوصف أهوال يوم القيامة، وفرار الإنسان من أقرب الناس إليه، وبيان حال المؤمنين السعداء والكافرين الأشقياء في هذا اليوم: فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ... [الآيات في 33– 42][3]

(1) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: (9/39-40).

(2) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (30/79).

(3) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (30/57).

المحاضرة الثامنة:

ثانيا: التفسير التحليلي للسورة:

المقطع الأول: عتاب المحب[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ۝١٦ ﴾

1- سبب النزول:

أخرج الترمذي عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: أُنزل (عَبَسَ وَتَوَلَّى) في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فجعل يقول: يا رسول اللَّه أرشدني، وعند رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: (أترى بما أقول بأساً؟) فيقول: لا. ففي هذا أُنزل[2].

قال الشيخ ابن عثيمين: الأعمى هو عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم رضي الله عنه، فإنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة وهو في مكة، وكان عنده قوم من عظماء قريش يطمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إسلامهم، . ومن المعلوم أن العظماء والأشراف إذا أسلموا كان ذلك سبباً لإسلام من تحتهم وكان طمع النبي صلى الله عليه وسلّم فيهم شديداً . فجاء هذا الأعمى يسأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وذكروا أنه كان يقول: علمني مما علمك الله ويستقرىء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكان النبي عليه الصلاة والسلام يعرض عنه وعبس في وجهه رجاءً وطمعاً في إسلام هؤلاء العظماء وكأنه خاف أن هؤلاء العظماء يزدرون النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا وجه وجهه لهذا الرجل الأعمى وأعرض عن هؤلاء العظماء، كما قال قوم نوح:﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ [هود: 27]، فكان النبي عليه الصلاة والسلام في عبوسه وتوليه يلاحظ هذين الأمرين:

الأمر الأول: الرجاء في إسلام هؤلاء العظماء.

والأمر الثاني: ألا يزدروا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في كونه يلتفت إلى هذا الرجل الأعمى الذي هو محتقر عندهم، ولا شك أن هذا اجتهاد من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وليس احتقاراً لابن أم مكتوم؛ لأننا نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلّم لا يهمه إلا أن تنتشر دعوة الحق بين عباد الله، وأن الناس عنده سواء بل من كان أشد إقبالاً على الإسلام فهو أحب إليه[3].

وأما تسمية بعضهم في كتب التفسير وغيرها فقال ابن العربي المالكي في ذلك: "وأما قول علمائنا: إنه الوليد بن المغيرة. وقال آخرون: إنه أمية بن خلف، فهذا كله باطل وجهل من المفسرين الذين لم يتحققوا الدين؛ وذلك أن أمية والوليد كانا

(1) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: (41/9).

(2) أخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة عبس، برقم:(3331).

(3) تفسير جزء عم لابن عثيمين: (ص:59-60).

بمكة، وابن أم مكتوم كان بالمدينة، ما حضر معهما ولا حضرا معه، وكان موتهما كافرين؛ أحدهما قبل الهجرة والآخر في بدر ولم يقصد قط أمية المدينة، ولا حضر عنده مفردا ولا مع أحد."[1]

2- مناسبة المقطع لما قبله:

لما ذكر سبحانه وتعالى في خاتمة سورة النازعات: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات: 45]، ذكر في هذه من ينفعه الإنذار ومن لم ينفعه الإنذار، وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجيهم في أمر الإسلام[2].

3- تحليل الكلمات:

عبس: كلح وقطب[3] وقبض وجهه تكرّها[4]، يعني استنكر الشيء بوجهه[5].

وتولى: أي أعرض بوجهه[6].

أن جاءه الأعمى: أي لأجل أن جاء عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به من دعوة بعض أشراف قريش للإسلام[7].

وما يدريك لعله يزكى: أي شيء يريبك أن يتزكى هذا الرجل ويقوي إيمانه.

أو يذكر: أي يتعظ.

فتنفعه الذكرى: أي تنفعه الموعظة.

أما من استغنى: عن الإيمان والعلم والدين بالمال والجاه.

فأنت له تصدى: أي تتعرض وتطلب إقباله عليك وتقبل عليه.

وما عليك ألا يزكى: يعني ليس عليك شيء إذا لم يتزكَّ هذا المستغني ؛ لأنه ليس عليك إلا البلاغ.

وأما من جاءك يسعى: أي يستعجل من أجل انتهاز الفرصة إلى حضور مجلسك.

وهو يخشى: أي يخاف الله عز وجل بقلبه.

فأنت عنه تلهى: تتلهى عنه وتتغافل لأنه انشغل برؤساء القوم لعلهم يهتدون.

كلا: يعني لا تفعل مثل هذا.

إنها تذكرة: أي الآيات القرآنية التي أنزلها الله على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. تُذَكر الإنسان بما ينفعه وتحثه عليه، وتَذْكر له ما يضره وتحذره منه ويتعظ بها القلب.

فمن شاء ذكره: أي فمن شاء ذكر ما نزل من الموعظة فاتعظ، ومن شاء لم يتعظ.

---

(1) أحكام القرآن لابن العربي: (363/4).

(2) البحر المحيط لأبي حيان: (406/10).

(3) تفسير الخازن: (394/4).

(4) تفسير الطبري: (217/24).

(5) تفسير جزء عم، لابن عثيمين: (ص:59).

(6) تفسير الخازن: (394/4).

(7) أيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري: (516/5).

في صحف مكرمة: معظمة عند الله، والصحف جمع صحائف، والصحائف جمع صحيفة وهي ما يكتب فيه القول[1].

مطهرة: أي منزهة عن مس الشياطين[2].

بأيدي سفرة: السفرة الملائكة، وسموا سفرة لأنهم كتبة، مأخوذة من السَّفَر أو من السَّفْرِ وهو الكتاب كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: 5] . وقيل: السفرة الوسطاء بين الله وبين خلقه، من السفير وهو الواسطة بين الناس، ومنه حديث أبي رافع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوج ميمونةرضي الله عنها قبل أن يحرم قال: «وكنت السفير بينهما»[3] أي الواسطة[4]. والمقصود على ما رجحه الإمام الطبري: هم الملائكة الذين يَسْفِرون بين بين الله ورسله بالوحي[5].

كرام بررة: أي: هؤلاء السَّفَرَةُ من الملائكة في مَرْتَبَةٍ شريفةٍ عند الله، حيث خصَّهم بِوَحْيِه (3)، وهم كثيرو الخير، كثيرو الطاعة[6].

4- القراءات:

فتنفعه: بنصب العين قراءة عاصم، وقرأ الباقون برفعها.

تصدى: قرأ المدنيان، وابن كثير بتشديد الصاد، وقرأ الباقون بتخفيفها[7]، أصل الفعل (تتصدى) بتاءين فأدغمت التاء الثانية في الصاد بعدها لقرب المخرجين. وقراءة التخفيف بحذف التاء الثانية تخفيفا[8].

5- الإعراب:

أن جاءه الأعمى: في موضع نصب مفعول من أَجله، وناصبه إما (عبس) وإما (تولى)[9]، وَقيل: هِيَ فِي مَوضِع خفض على اضمار اللَّام[10] متعلّق بـ (عبس وتولّى)[11]، وقيل: منصوب على نزع الخافض اللام[12]، وَقيل (أن) بِمَعْنى إِذْ[13].

ورد القول الأخير الأصبهاني فقال: "وزعم بعض الكوفيين أنها بمعنى (إذ)، وليس بشيء."[14]

فتنفعَه: نصبا على جواب الترجي؛ فتكون الفاء سببية، والفعل منصوب بأن مضمرة بعد الفاء.

---

(1) تفسير جزء عم لابن عثيمين: (ص:60-61).

(2) أيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري: (516/5).

(3) أخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم نكاح المحرم، رقم: (1411) (48) .

(4) تفسير جزء عم لابن عثيمين: (ص: 62).

(5) تفسير الطبري: (221/24).

(6) تفسير جزء عم لمساعد الطيار: (ص:53).

(7) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: (398/2).

(8) معاني القراءات للأزهري: (122/3).

(9) إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين الدرويش: (375/10).

(10) مشكل إعراب القرآن لمكي: (801/2).

(11) الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحمن صافي: (241/30).

(12) المجتبى من مشكل إعراب القرآن لأحمد بن محمد الخراط: (1418/4).

(13) إعراب القرآن للنحاس: (94/5)، مشكل إعراب القرآن لمكي: (801/2).

(14) إعراب القرآن لقوام السنة الأصبهاني: (ص:499).

فتنفعُه: رفعا عطفا على (يزكى، ويذكرُ.)[1]

6- البلاغة:

- افتتاح هذه السورة بفعلين متحملين لضمير لا معاد له في الكلام تشويق لما سيورد بعدهما، والفعلان يشعران بأن المحكي حادث عظيم، فأما الضمائر فيبين إبهامها قوله: (فأنت له تصدى) وأما الحادث فيتبين من ذكر الأعمى ومن استغنى[2].

- **عَبَسَ وَتَوَلَّى**... ثم قال: (**وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى**) التفات من الغيبة إلى الخطاب دلالة على مزيد الإنكار، وزيادة في العتاب.

- عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى، وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى: سجع مرصع.

- تَصَدَّى تَلَهَّى: بينهما طباق[3].

7- المعنى الإجمالي للآيات:

ظهر التغير والعبوس في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعرض لأجل أن الأعمى عبد الله بن أم مكتوم جاءه مسترشدا، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم منشغلا بدعوة كبار قريش إلى الإسلام.

وأيُّ شيء يجعلك عالما بحقيقة أمره؟ لعله بسؤاله تزكو نفسه وتطهر، أو يحصل له المزيد من الاعتبار والازدجار والموعظة.

أما مَن استغنى عن هديك، فأنت تتعرض له وتصغي لكلامه، وأي شيء عليك ألا يتطهر من كفره؟ فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر.

وأمَّا من كان حريصا على لقائك، وهو يخشى الله من التقصير في الاسترشاد، فأنت عنه تتشاغل. ليس الأمر كما فعلت -أيها الرسول-، إن هذه السورة موعظة لك ولكل من شاء الاتعاظ. فمن شاء ذكر الله وَأُتَمَّ بوحيه. هذا الوحي، وهو القرآن في صحف معظمة، موقرة، عالية القدر مطهرة من الدنس والزيادة والنقص، بأيدي ملائكة كتبة، سفراء بين الله وخلقه، كرام الخلق، أخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة[4].

8- ما يستفاد من الآيات:

- وجه الله تعالى العتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسلوب الغيبة ليكون أول ما يقرع سمعه باعثا على أن يترقب المعني من ضمير الغائب فلا يفاجئه العتاب، وهذا تلطف من الله برسوله صلى الله عليه وسلم ليقع العتاب في نفسه مدرجا وذلك أهون وقعا[5].

- مناط العتاب الذي تؤتيه لهجة الآية ...إنما هو عتاب على العبوس والتولي، لا على ما حف بذلك من المبادرة بدعوة، وتأخير إرشاد، لأن ما سلكه النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحادثة من سبيل الإرشاد لا يستدعي عتابا إذ ما سلك إلا سبيل الاجتهاد القويم.

---

(1) ينظر:المجتبى من مشكل إعراب القرآن لأحمد بن محمد الخراط: (1418/4).

(2) ينظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (103/30).

(3) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (59/30).

(4) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: (ص:585).

(5) ينظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (105/30).

– العلم الذي يحصل عن تبين غفلة، أو إشعار بخفاء يكون أرسخ في النفس من العلم المسوق عن غير تعطش.

– تهيئة نفس الرسول صلى الله عليه وسلم كي تكون غير غافلة عن مثله، وليتأسى به علماء أمته وحكامها وولاة أمورها[1].

– تشير الآيات إلى قاعدة مشهورة مهمة في الدعوة وهي: "لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة "

– ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره.

– حفظ الله لكتابه، أن جعل السفراء فيه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعل للشياطين عليه سبيلا، وهذا مما يوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول[2].

المحاضرة التاسعة:

المقطع الثاني: التفكر والتدبر[3].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾

1– مناسبة المقطع لما قبله:

بعد عتاب الله لنبيه على عبوسه في وجه عبد الله بن أم مكتوم بسبب انشغاله مع رؤساء قريش، وبيان حال القرآن وأنه كتاب الذكرى والموعظة، ذمّ الله الإنسان ووبخه على كفران نعم ربه، وتكبره وتعاظمه عن قبول هداية الله له، وأنه استحق أعظم أنواع العقاب لأجل ارتكابه أعظم أنواع القبائح[4].

2– تحليل الكلمات:

قتل الإنسان: قتل: قال بعض العلماء: إن معناها لعن، والذي يظهر أن معناها أُهلك، وهو أسلوب تستعمله العرب في تقبيح ما كان عليه صاحبه. والمراد بالإنسان هنا الكافر خاصة، وليس كل إنسان لقوله فيما بعد (ما أكفره)، ويحتمل أن يكون المراد بالإنسان الجنس؛ لأن أكثر بني آدم كفار، وهذا دعاء عليه بأشنع الدعوات[5].

ما أكفره: تعجب من إفراطه في كفران النعم[6]، أو استفهام توبيخ، أي ما حمله على الكفر؟![7]

من أي شيء خلقه؟: بيان لما أنعم عليه، والاستفهام للتحقير.

فقدره: أي جعله مقدراً أطواراً: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة ...

(1) ينظر: المرجع نفسه: (112/30).

(2) تفسير السعدي: (ص:910).

(3) ينظر:التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: (43/9)

(4) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (65/30)

(5) تفسير جزء عم، لابن عثيمين: (ص:63-64).

(6) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (64/30).

(7) تفسير الجلالين: (792).

ثم السبيل يسره: السبيل هنا بمعنى الطريق يعني يسر له الطريق ليخرج من بطن أمه إلى عالم المشاهدة، ويسر له أيضاً بعد ذلك ما ذكره تعالى في قوله: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: 10] يسر له ثديي أمه يتغذى بهما، ويسر له بعد ذلك ما فتح له من خزائن الرزق، ويسر لهفوق هذا كله وما هو أهم وهو طريق الهدى والفلاح.

فأقبره: أي جعله في قبر، أي مدفوناً ستراً عليه وإكراماً واحتراماً. قال ابن عباس: أكرمه بدفنه.

أنشره: أي بعثه يوم النشور ليجازيه على عمله.

كَلَّا: ردع للإنسان عما هو عليه من الترفع والتكبر.

لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ : المعنى أن الله تعالى لم يقضِ ما أمره، أي ما أمر به كوناً وقدراً، أي أن الأمر لم يتم لنشر أو لانشار هذا الميت بل له موعد منتظر.

فلينظر إلى طعامه: من أين جاء؟ ومن جاء به؟ وهل أحدٌ خلقه سوى الله عز وجل؟[1]

وقضباً: القضب: الفصفصة الرطبة، سميت قضبا لأنها تعلف للدواب رطبة فتقضب؛ أي تقطع مرة بعد أخرى ولا تزال تخلف ما دام الماء ينزل عليها، وتسمى القت[2].

وَحَدائِقَ غُلْباً: حَدائِقَ جمع حديقة وهي البساتين ذوات الأشجار المثمرة، عليها حوائط تحيط بها غُلْباً جمع غلباء أي ضخمة عظيمة[3].

وأبًّا: كل ما أنبتت الأرض مما لا يأكله الناس ولا يزرعونه من الكلأ وسائر أنواع المرعى للحيوان[4].

3- القراءات:

أَنَّا صَبَبْنَا: قرأ الكوفيون بفتح الهمزة، وافقهم رويس وصلا، وقرأ الباقون بكسر الهمزة، ووافقهم رويس في الابتداء[5].

4- الإعراب:

قراءة (إِنَّا صَبَبْنَا) بكسر الهمزة على أن الجملة بيان لجملة: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ لتفصيل ما أجمل هنالك على وجه الإيجاز. وقراءة فتح الهمزة على أنه اسم بدل اشتمال من (طعامه)، أو البدل الذي يسميه بعض النحويين بدل مفصل من مجمل[6]، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف. أي: هو أنا صببنا الماء[7].

مَتَاعا لكم: نصب على المصدر[8].

5- البلاغة:

قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ؟: أسلوب التعجب، تعجب من إفراط كفره، مع كثرة إحسان الله إليه.

---

(1) تفسير جزء عم، لابن عثيمين: (ص:65)

(2) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (132/30).

(3) محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي: (410/9).

(4) فتح القدير للشوكاني: (466/5).

(5) النشر في القراءات لابن الجزري: (398/2).

(6) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (131/30).

(7) إعراب القرآن لقوام السنة الاصبهاني: (ص:499)

(8) مشكل إعراب القرآن الكريم لمكي: (802/2).

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ: إجمال، ثم تفصيل بقوله: مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ.

ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ: كناية بالسبيل عن خروجه من فرج الأم.

فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ، بِأَيْدِي سَفَرَةٍ، كِرامٍ بَرَرَةٍ إلخ: توافق الفواصل مراعاة لرؤوس الآيات، وهو المسمى، بالسجع المرصع[1].

6- المعنى الإجمالي للآيات:

لُعِنَ الإنسان الكافر وعُذِّب، ما أشدَّ كفره بربه!! ألم ير مِن أيِّ شيء خلقه الله أول مرة؟ خلقه الله من ماء قليل -وهو المنِيُّ- فقدَّره أطوارا، ثم بين له طريق الخير والشر، ثم أماته فجعل له مكانًا يُقبر فيه، ثم إذا شاء سبحانه أحياه، وبعثه بعد موته للحساب والجزاء. ليس الأمر كما يقول الكافر ويفعل، فلم يُؤَدِّ ما أمره الله به من الإيمان والعمل بطاعته.وقيل: أي لم يقض ما أمر به كوناً وقدراً، أي أن الأمر لم يتم لنشر أو لإنشار هذا الميت بل له موعد منتظر.

فليتدبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟ بأنَّا صببنا الماء على الأرض صَبًّا، ثم شققناها بما أخرجنا منها من نبات شتى، فأنبتنا فيها حبًا، وعنبًا وعلفًا للدواب، وزيتونًا ونخلا وحدائق عظيمة الأشجار، وثمارًا وكلأً، تَنْعَمون بها أنتم وأنعامكم[2].

7- ما يستفاد من الآيات:

- لعن الإنسان حيث كفر بالقرآن، وما أظلمه حيث أنكر البعث والنشور، فالله قادر على إعادته كما قدر على بدء خلقه.

- كل إنسان إلا القليل مقصر في حق الله، فلا يقضي أحد ما أمر به، من الإيمان والطاعة، والتأمل في دلائل الله، والتدبر في عجائب خلق الله وبينات حكمته.

- أمر الله تعالى بالنظر والاستدلال والتدبر إلى الطعام الذي يتناوله الإنسان، ويعيش به، كيف دبّر الله أمره.

- ذكر الله تعالى ثمانية أنواع من النبات: وهي الحب: وهو كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما، وقدّم لأنه كالأصل في الغذاء، والعنب، وذكر بعد الحَب لأنه غذاء من وجه وفاكهة من وجه آخر، والقضب عند أهل مكة واليمن: وهو الرطبة المسماة بالقت، والزيتون والنخيل، والحدائق ذات الأشجار الضخمة الكثيرة، والفاكهة: وهي ما يأكله الناس من الثمار، وقد ذكرها مجملة ليعم جميع أنواعها، والأب: وهو المرعى الذي يؤبّ أي يؤم وينتجع، وهو ما تأكله البهائم من العشب.

- الغاية من خلق هذه النباتات التي تشمل ما يتغذى به الإنسان والحيوان: هي الانتفاع بها، سواء بالنسبة للناس أو للدواب لأن إنبات هذه الأشياء إمتاع لجميع الحيوانات

- المقصود من هذه الأشياء أمور ثلاثة:

أولها- إيراد الدلائل الدالة على التوحيد.

---

(1) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (64/30).

(2) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: (ص:585).

وثانيها- إيراد الدلائل الدالة على القدرة على المعاد.

وثالثها- الترغيب بالإيمان والطاعة فإنه لا يليق بالعاقل أن يتمرد عن طاعة الإله الذي أحسن إلى عباده بهذه الأنواع العظيمة من الإحسان[1].

- أكرم الله عز وجل المسلمين بدفن موتاهم، وذلك تكريما للإنسان حتى بعد موته[2].

المحاضرة العاشرة:

المقطع الثالث: أحوال الناس يوم القيامة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾

1- مناسبة المقطع لما قبله:

بعد بيان نعم الله تعالى في نفس الإنسان وفي الآفاق، وإقامة الأدلة والبراهين بها على كمال قدرة الله عز وجل على البعث وكل شيء، أبان الله تعالى بعض أهوال القيامة وأحوالها التي تملأ النفس خوفا ورهبة، ليكون ذلك مدعاة إلى التأمل في الدلائل والإيمان بها والإعراض عن الكفر، وإلى ترك التكبر على الناس، وإلى إظهار التواضع إلى كل أحد[3].

2- تحليل الكلمات:

الصاخة: يَعْنِي صَيْحَةَ الْقِيَامَةِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَصُخُّ الْأَسْمَاعَ، أَيْ تُبَالِغُ فِي الْأَسْمَاعِ حَتَّى تَكَادَ تُصِمُّهَا[4].

يوم يفر المرء من أخيه: أي يهرب، أي تجئ الصاخة في هذا اليوم الذي يهرب فيه من أخيه، أي من موالاة أخيه ومكالمته، لأنه لا يتفرغ لذلك، لاشتغاله بنفسه.

لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه: أي يشغله عن غيره. وقيل: إنما يفر حذرا من مطالبتهم إياه، لما بينهم من التبعات. وقيل: لئلا يروا ما هو فيه من الشدة. وقيل: لعلمه أنهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئا، كما قال: ﴿ **يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا** ﴾ [الدخان: 41][5]

مُسْفِرَةٌ: من الإسفار وهو الوضوح لأن وجوه المؤمنين تُسفر عما في قلوبهم من السرور والانشراح والبهجة[6]، من ما عرفوا من نجاتهم، وفوزهم بالنعيم[7].

مُسْتَبْشِرَةٌ: أي قد بشرت بالخير لأن الملائكة تتلقاهم بالبشرى[8].

غَبَرَةٌ: غبار وكدرة.

---

(1) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (30/69-72).

(2) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: (9/44).

(3) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (30/74).

(4) تفسير البغوي: (8/339).

(5) تفسير القرطبي: (19/224).

(6) تفسير جزء عم، لابن عثيمين: (ص:68).

(7) تفسير السعدي: (ص:911)

(8) تفسير جزء عم، لابن عثيمين: (ص:68).

تَرْهَقُها: تغشاها.

قَتَرَةٌ: أي سواد وظلمة، فهي سوداء مظلمة مدلهمة، قد أيست من كل خير، وعرفت شقاءها وهلاكها.

هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ: أي: الذين كفروا بنعمة الله وكذبوا بآيات الله، وتجرأوا على محارمه[1].

3- الإعراب:

(إذا): ظرف، وهو متعلق بـ (جاءت الصاخة) وجوابه قوله: وجوه يومئذ مسفرة. الآيات.

(من): حرف هنا يجوز أن يكون بمعنى التعليل الذي يعدى به فعل الفرار إلى سبب الفرار حين يقال: فر من الأسد، وفر من العدو، وفر من الموت، ويجوز أن يكون بمعنى المجاوزة مثل (عن)[2].

إعادة (يومئذ) لتأكيد الربط بين الشرط وجوابه ولطول الفصل بينهما والتقدير: وجوه مسفرة يوم يفر المرء من أخيه إلى آخره.

وقد أغنت إعادة (يومئذ) عن ربط الجواب بالفاء[3].

عليها غبرة: جملة في محل رفع نعت لـ (وُجُوهٌ).

ترهقها قترة: جملة في محل رفع خبر المبتدأ (وُجُوهٌ).

أولئك هم الكفرة الفجرة: الجملة مستأنفة، (هم) ضمير فصل، (الكفرة) (الفجرة): خبران لـ (أولئك) [4].

4- البلاغة:

لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه: مستأنفة استئنافا ابتدائيا لزيادة تهويل اليوم، وتنوين شأن للتعظيم.

لكل امرئ منهم يومئذ شأن: تقدم الخبر على المبتدأ ليتأتى تنكير شأن الدال على التعظيم لأن العرب لا يبتدئون بالنكرة في جملتها إلا بمسوغ من مسوغات عدها النحاة بضعة عشر مسوغا، ومنها تقديم الخبر على المبتدأ [5].

(وجوه يومئذ مسفرة، ضاحكة مستبشرة) و(وجوه يومئذ عليها غبرة، ترهقها قترة): بينهما مقابلة، قابل فيها بين وجوه السعداء ووجوه الأشقياء[6].

5- المعنى الإجمالي للآيات:

يخبر تعالى إذا جاءت صيحة البعث يوم القيامة التي تصمُّ مِن هولها الأسماع، يوم يفرُّ المرء لهول ذلك اليوم من أخيه، وأمه وأبيه، وزوجه وبنيه. لكل واحد منهم يومئذٍ أمر يشغله ويمنعه من الانشغال بغيره[7].

ورتبت أصناف القرابة في الآية حسب الصعود من الصنف إلى من هو أقوى منه تدرجا في تهويل ذلك اليوم.

---

(1) تفسير السعدي: (ص:911)

(2) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (135/30)

(3) المرجع نفسه: (137/30)

(4) ينظر:المجتبى من مشكل إعراب القرآن لأحمد بن محمد الخراط: (1421/4)

(5) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (136/30)

(6)التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (73/30)

(7) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: (ص:585-586).

فابتدئ بالأخ لشدة اتصاله بأخيه من زمن الصبا فينشأ بذلك إلف بينهما يستمر طول الحياة، ثم ارتقي من الأخ إلى الأبوين وهما أشد قربا لابنيهما، وقدمت الأم في الذكر لأن إلف ابنها بها أقوى منه بأبيه وللرعي على الفاصلة، وانتقل إلى الزوجة والبنين وهما مجتمع عائلة الإنسان وأشد الناس قربا به وملازمة[1].

وجوه أهل النعيم في ذلك اليوم مستنيرة، مسرورة فرحة[2] من ما عرفوا من نجاتهم، وفوزهم بالنعيم[3]، ووجوه أهل الجحيم الجحيم مظلمة مسودَّة، تغشاها ذلَّة. أولئك الموصوفون بهذا الوصف هم الذين كفروا بنعم
الله وكذَّبوا بآياته، وتجرؤوا على محارمه بالفجور والطغيان[4].

6- ما يستفاد من الآيات:

- صيحة القيامة تصخ لها الأسماع، وتنزعج لها الأفئدة يومئذ مما يرى الناس من الأهوال وشدة الحاجة لسالف الأعمال .
- الحياة الدنيا دار ابتلاء واختبار،وأما الآخرة فدار الجزاء والبقاء، فعلى الإنسان أن يتزود من دار ممره إلى دار مقره.
-الناس يوم القيامة فريقان: سعداء، وأشقياء. أما السعداء فتظهر البهجة على وجوههم، لما عرفوا من نجاتهم، وفوزهم بالنعيم.

وأما الأشقياء فترى وجوههم مسودة مظلمة، قد أيست من كل خير وعرفت شقاءها وهلاكها[5].

(1) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (136/30)
(2) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: (ص:585-586).
(3) تفسير السعدي: (ص:911)
(4) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: (ص:585-586).
(5) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: (46/9)

المحاضرة الحادية عشرة:

التفسير التحليلي للآية [125– 128 من سورة النحل]

فكرة الآية: أسس الدعوة إلى الدين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: 125 – 128]

1– مناسبة الآيات لما قبلها:

لما وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام وعقيدته، وأمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باتباع ملته، أمره في هذه الآيات بالدعوة إلى هذه الملة الحنيفية وغيرها مما يوحى إليه من الدين،وبين له طرق هذه الدعوة وأسسها، وأمره بالصبر.

2– سبب النزول:

أخرج الترمذي والنَّسَائِي عن أبي بن كعب – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال: لما كان يوم أحد أُصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثَّلوا بهم، فقالت الأنصار لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنُربينَّ عليهم، قال: فلما كان يوم فتح مكة، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ فقال رجل: لا قريش بعد اليوم، فقال رسول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: (كفوا عن القوم إلا أربعة)[1].

قال ابن عطية: أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة في يوم أحد ... ثم ذكر الحديث[2].

الحديث المذكور وإن كان فيه ضعف فإنه صالح للسببية بسبب الآثار التي تعضده، مع موافقة السياق القرآني، واحتجاج المفسرين به واللَّه أعلم[3].

3– تحليل الكلمات:

الحكمة: قيل: القرآن، وقيل: الفقه، قولان لابن عباس[4]، وقيل: النبوة، وهو قول الزجاج[5]. وقال الطبري: "بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي ينزله عليك"[6] وَقيل: معرفة الأشياء على مراتبها فِي الْحسن والقبح، وَقيل: الدعاء بالحكمة هو الرد عن القبيح إلى الحسن بشرط العلم[7].

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة النحل ، رقم: (3129)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة النحل ، رقم: (11215).

(2) المحرر الوجيز لابن عطية: (432/3).

(3) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة لخالد بن سليمان المزيني: (655/2).

(4) زاد المسير لابن الجوزي: (593/2).

(5) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (223/3).

(6) تفسير الطبري: (321/17).

(7) تفسير السمعاني: (210/3).

الموعظة الحسنة: قيل مواعظ القرآن، وقيل الأدب الجميل الذي يعرفونه، والقولان لابن عباس[1]. وقيل: الدعاء إِلَى الله بالترغيب والترهيب، وقيل: هي القول اللين الرقِيق من غير غلظة ولا تعنيف[2].

وجادلهم بالتي هي أحسن: بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، من غير فظاظة ولا تعنيف[3]. وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة. فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين. وقد قيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة. والله أعلم[4].

وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به: سمي الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة في الكلام، والمعنى إن صنع بكم سوء من قتل أو مثلة ونحوها، فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورى:]أمر الله برعاية العدل والإنصاف في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق. يعني: إن رغبتم في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل، ولا تزيدوا عليه فإن استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته[5].

وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ: أي: لئن صبرتم عن المعاقبة بالمثل فالصبر خير لكم من الانتصاف.

وَاصْبِرْ: أي: على ما أصابك من صنوف الأذى.

وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ: أي: بتوفيقه وتثبيته.

وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ: أي: على الكافرين في إعراضهم عنك، أو لا تحزن على قتلى أحد، فإنهم قد أفضوا إلى رحمة الله[6]، والأول أصوب يكون عود الضمير على جهة واحدة[7].

وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ: أي: غم.

مِمَّا يَمْكُرُونَ: أي: مما يجهدون أنفسهم في عداوتك وإيصال الشر إليك، فإن الله كافيك وناصرك، ومؤيدك، ومظهرك ومظفرك بهم[8].

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا: يريد أنه معهم بمعونته ونصره.

وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ: الإحسان هنا يحتمل أن يراد به فعل الحسنات، والمعنى الذي أشار له النبي صلّى الله عليه وسلّم بقوله: « الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[9]، وهذا هو الأظهر، لأنه رتبة فوق التقوى[10]. التقوى[10].

---

(1) زاد المسير لابن الجوزي: (593/2).

(2) تفسير السمعاني: (210/3)، تفسير البغوي: (52/5).

(3) الكشاف للزمخشري: (644/2).

(4) تفسير القرطبي: (200/10).

(5) تفسير الخازن: (108/3).

(6) فتح القدير للشوكاني: (243/3).

(7) المحرر الوجيز لابن عطية: (433/3).

(8) تفسير ابن كثير: (615/4).

(9) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34]، رقم: (4777)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم: (1)(8).

(10) ينظر:التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: (439/1).

4- القراءات:

ضيق: قرأ ابن كثير بكسر الضاد، وقرأ الباقون بفتحها[1].والضيق بالكسر: الاسم، والضيق بالفتح: المصدر[2]. وحكى الكوفيون أن الضَّيق بالفتح يكون في القلب والصدر، وبالكسر يكون فِي الثوب وفِي الدار ونحو ذلك[3].

5- الإعراب:

ادع: فعل أمر، يجوز أن يكون مفعوله مرادا، أي: ادع الناس، وأن لا يكون، أي: افعل الدعاء.

بالحكمة: جار ومجرور متعلق بحال من فاعل ادع.

وإن عاقبتم فعاقبوا: العامة على المفاعلة، وهي بمعنى (فعل) كسافر، وابن سيرين «عقبتم» بالتشديد بمعنى: قفيتم فقفوا بمثل ما فعل بكم. وقيل: تتبعتم. والباء معدية، وفي قراءة ابن سيرين: إما للسببية، وإما مزيدة[4].

واصبر: الصبر هو حبس النفس عن الجزع عند فوات مرغوب أو وقوع مكروه[5].

مما يمكرون: ما مصدرية، أي من مكرهم. واختير الفعل المنسبك إلى مصدر لما يؤذن به الفعل المضارع من التجدد والتكرر[6]. وقيل: بمعنى الذي، والعائد محذوف[7].

6- البلاغة:

- ادع: حذف مفعوله لقصد التعميم، أو لأن الفعل نزل منزلة اللازم؛ لأن المقصود الدوام على الدعوة لا بيان المدعوين[8].

- بمثل ما عوقبتم: مشاكلة لـ (عاقبتم). استعمل عوقبتم في معنى عوملتم به، لوقوعه بعد فعل عاقبتم، فهو استعارة وجه شبهها هو المشاكلة. ويجوز أن يكون عوقبتم حقيقة لأن ما يلقونه من الأذى من المشركين قصدوا به عقابهم على مفارقة دين قومهم وعلى شتم أصنامهم وتسفيه آبائهم[9].

- ولئن صبرتم لهو خير للصابرين: وضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بصبرهم على الشدائد، وبصبرهم على المعاقبة. وقيل: يعود إلى جنس الصبر، ويراد بالصابرين جنسهم، فكأنه قيل: والصبر خير للصابرين، فيندرج صبر المخاطبين في الصبر[10].

- وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ: الضيق ضيق النفس، وهو مستعار للجزع والكدر، كما استعير ضده وهو السعة والاتساع للاحتمال والصبر[11].

---

(1) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: (305/2).

(2) ينظر:حجة القراءات لابن زنجلة: (ص536).

(3) مشكل إعراب القرآن لمكي: (426/1).

(4) ينظر:الدر المصون للسمين الحلبي: (302/7).

(5) روح المعاني للألوسي: (494/7).

(6) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (337/14).

(7) ينظر:الدر المصون للسمين الحلبي: (303/7).

(8) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (327/14).

(9) المصدر نفسه: (335/14-336).

(10) البحر المحيط لأبي حيان: (613/6).

(11) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (327/14).

7- المعنى الإجمالي للآيات:

ليكن دعاؤك أيها النبي للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح[1]. الصالح[1]. وسماه سبيلا ليلتزموه في جميع مراحل سيرهم في هذه الحياة، ليفضي بهم إلى الغاية المقصودة، وهي السعادة الأبدية قي الحياة الأخرى، وأضافه إلى نفسه، ليعلموا أنه هو من وضعه، وأنه لا شيء يوصل إلى رضوانه سواه[2] بالحكمة: أي بالطريقة الحكيمة التي أوحاها الله إليك في الكتاب والسنة[3]. ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين. فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب؛ إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها؛ وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به؛ وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل.

فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن؛ وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا. ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها[4].

وقيل: جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق. فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يدعى بطريق الحكمة.

والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر: يدعى بالموعظة الحسنة. وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

والمعاند الجاحد: يجادل بالتي هي أحسن[5].

فما عليك إلا البلاغ، وقد بلغت، أما هدايتهم فعلى الله وحده، فهو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين. وإن أردتم -أيها المؤمنون- القصاص ممن اعتدوا عليكم، فلا تزيدوا عما فعلوه بكم، ولئن صبرتم لهو خير لكم في الدنيا بالنصر، وفي الآخرة بالأجر العظيم. واصبر -أيها الرسول- على ما أصابك مِن أذى في الله حتى يأتيك الفرج، وما صبرك إلا بالله، فهو الذي يعينك عليه ويثبتك، ولا تحزن على مَن خالفك ولم يستجب لدعوتك، ولا تغتم مِن مكرهم وكيدهم؛ فإن ذلك عائد عليهم بالشر والوبال. إن الله سبحانه وتعالى بتوفيقه وعونه وتأييده ونصره مع الذين اتقوه بامتثال ما أمر واجتناب ما نهى، ومع الذين يحسنون أداء فرائضه والقيام بحقوقه ولزوم طاعته [6].

8- ما يستفاد من الآيات:

(1) تفسير السعدي: (ص:452).

(2) تفسير ابن باديس: (ص:318).

(3) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: (ص:281).

(4) تفسير السعدي: (ص:452).

(5) التفسير القيم لابن القيم: (ص:359).

(6) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: (ص:281).

– على من يدعو الناس إلى دين الله اتباع أحد هذه الطرق الثلاث: وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالطريق الأحسن.

– على الداعية أن يكون شجاعا في الحق، فلا يهن، صارما في الصدق، فلا يضعف، مخلصا متفانيا في مبدئه، فلا يبيعه بزخارف الدنيا وزينتها، ولا يتطلع إلى ما في أيدي الناس. وأن يصبر في دعوته.

– لا يتعلق حصول الهداية بالداعية، فهو تعالى أعلم بالضالين، وأعلم بالمهتدين.

– العقاب يكون بالمثل دون زيادة، فالمظلوم منهي عن استيفاء الزيادة من الظالم.

– دلت آية: بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ على جواز التماثل في القصاص، فمن قتل بحديدة قتل بها، ومن قتل بحجر قتل به، ولا يتعدى قدر الواجب[1].

– في هذه الآية إيماء إلى أن الله يظهر المسلمين على المشركين ويجعلهم في قبضتهم، فلعل بعض الذين فتنهم المشركون يبعثه الحنق على الإفراط في العقاب[2].

– التحلي بالصبر فضيلة أمر الله بها.

– إن الله نصير المتقين الذين تركوا الفواحش والمعاصي ومؤيدهم ومعينهم، وهو أيضا نصير المحسنين الذين فعلوا الطاعات[3].

المحاضرة الثانية عشرة:

التفسير التحليلي للآيتين (104 و 105 من سورة آل عمران)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران:104- 105]

1– مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآيات كالشرح لقوله تعالى: واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا فشرح الاعتصام بحبل الله بقوله: ولتكن منكم أمة وشرح ولا تفرقوا بقوله: ولا تكونوا كالذين تفرقوا...[4]

2– تحليل الكلمات:

الخير: الإسلام وكل ما ينفع الإنسان في حياته الأولى والآخرة من الإيمان والعمل الصالح.

المعروف: ما عرف بالعقل والشرع حسنه[5] فأمر به لنفعه وصلاحه للفرد أو الجماعة[6].

المنكر: ضد المعروف، ما عرف بالشرع والعقل قبحه[7]، نهى عنه الشرع لضرره وإفساده للفرد أو الجماعة[8].

---

(1) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (14/273-274).

(2) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (14/336).

(3) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (14/274).

(4) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (14/274).

(5) تفسير السعدي: (ص:142).

(6) أيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري: (1/356).

(7) تفسير السعدي: (ص:142).

(8) أيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري: (1/356).

3- الإعراب:

ولتكن منكم: يجوز أن تكون (كان) هنا التامة، فتكون (أمة) فاعلا، و(يدعون) صفته، و(منكم) متعلقة بـ (تكن)، أو بمحذوف، على أن تكون صفة لـ (أمة) قدم عليها فصار حالا.

ويجوز أن تكون الناقصة، و(أمة) اسمها، و(يدعون) الخبر؛ و(منكم) إما حال من (أمة)، أو متعلق بـ (كان) الناقصة.

ويجوز أن يكون (يدعون) صفة و(منكم) الخبر.

وجاءهم البينات: إنما حذف التاء؛ لأن تأنيث البينة غير حقيقي؛ ولأنها بمعنى الدليل[1]

4- البلاغة:

- ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر: من باب عطف الخاص بعد العام للاهتمام به.

- حذفت مفاعيل (يدعون) و(يأمرون) و(ينهون) لقصد التعميم أي يدعون كل أحد كما في قوله تعالى: والله يدعوا إلى دار السلام [يونس: 25]

- **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا:** قدم الافتراق على الاختلاف للإيذان بأن الاختلاف علة التفرق، وهذا من المفادات الحاصلة من ترتيب الكلام وذكر الأشياء مع مقارناتها[2].

- يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر: مقابلة.

- وأولئك هم المفلحون: فيه قصر صفة على موصوف، حيث قصر الفلاح عليهم[3].

5- المعنى الإجمالي للآيتين:

ولتكن منكم -أيها المؤمنون- جماعة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف، وهو ما عرف حسنه شرعا وعقلا، وتنهى عن المنكر، وهو ما عرف قبحه شرعا وعقلا، وأولئك هم الفائزون بجنات النعيم. ولا تكونوا -أيها المؤمنون- كأهل الكتاب الذين وقعت بينهم العداوة والبغضاء فتفرقوا شيعا وأحزابا، واختلفوا في أصول دينهم من بعد أن اتضح لهم الحق، وأولئك مستحقون لعذاب عظيم موجع[4]، ويلحق بهم من تشبه بهم من المبتدعة كالخوارج والروافض والمعتزلة والقدرية وغيرهم.

6- ما يستفاد من الآيتين:

- وجوب وجود طائفة من أمة الإسلام تدعو الأمم والشعوب إلى الإسلام، وتعرضه عليهم وتقاتلهم إن قاتلوها عليه، ووجوب وجود هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مدن وقرى المسلمين.

- وجوب الأمر بالمعروف والنهي والمنكر وبالشروط التي بينها أهل العلم.

- حرمة الفرقة بين المسلمين والاختلاف في دين الله[5].

هذه آخر محاضرة في هذا السداسي، نسأل الله حسن الخاتمة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(1) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري: (283/1-284).

(2) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: (40/4-43).

(3) التفسير المنير للزحيلي: (31/4).

(4) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير: (ص:63).

(5) أيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري: (358/1)